لتحميل كتاب

القيـــمُ أيّةُ قيم؟

حنافي جواد

https://www.facebook.com/hanaf.jawad

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

تُعَدُّ مسألة القيم موضوعا حريا بالمناقشة والدراسة والتحليل، ومما يقتضي ذلك ما نلحظه من تشوهات سلوك الإنسان المعاصر[1]، وغلبة القيم الفردية والمادية، واضمحلال القيم الروحية والجمالية...

فانعكس ذلك بشكل مباشر وغيرِ مباشر على منظومة المجتمع ونظام الكون بأسره؛ فاختل التوازن وساد اضطراب غير مشهود مثله سلفا... ويحدث ذلك كله باسم الحداثة[2] والتجديد والتقدم...!

لقد أصبح تعليم القيم الجميلة[3] وترسيخها في النفوس والعقول فريضة وأولوية من أعظم الأولويات[4]، فينبغي الاهتمام بها، لأنها مسؤولية يتحملها جميع البشر بدون استثناء؛ وإن كانت الحظوظ والمسؤوليات تختلف من طرف لآخر...

ويعتبر سن الطفولة والحداثة أعظم وأهم مرحلة عمرية تغرس فيها القيم الجميلة والأخلاق الفاضلة:

قال الشاعر:

وينفع الأدبُ الأحداثَ في صغر ... وليس ينفع عند الشيبة الأدب

إنَّ الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولن تلين إذا قومتها الخشب

---

[1] وتظهر تلك التشوهات في علاقة الإنسان بربه ونفسه والناس والمحيط...

[2] الحداثة: مشروعٌ فكري تقدّمي يفسر الكون تفسيراياً، متجرّد عن سلطة الماضي وكل أشكال السلطة، وأساس الحداثة الفصل بين الدين والدولة، فالدين في نظر الحداثيين تراث قديم لا يليق بعصر متطور...

[3] من القيم الجميلة: العدل– المساواة– الإيثار – التواضع– الأخوة– المودة – الرحمة – الحياء – الكرم – حسن الضيافة – الأدب مع الله والناس –العفة – الشجاعة – الوفاء – الصدق – حسن الجوار– الإحسان...

[4] نحن في حاجة ماسة إلى فقه أولويات التغيير الاجتماعي، حتى لا نتيه في أجزاء قليلة الأهمية فتضيع الجهود ويستفحل الضرر ويفوت الآوان.

لماذا اخترت موضوع القيم؟

انصب اهتمامي على مسألة القيم لأهميتها، ثم إن حاجتنا لها اليوم أكثر من حاجتنا لها البارحة؛ نظرا لتفاقم فساد منظومة القيم. ولقد أسفر فسادها عن فساد منظومات كثيرات اقتصادية واجتماعية وبيئية وعلمية...إن ما نشاهده اليوم من الفساد بداية شريرة لا نتوقع مآلاتها ولا نهاياتها، أقل ما يقال عنها: إنها بشارة الكارثة العظمى والمصيبة الكبرى...هي أزمة قِيميَّة أخلاقيةٌ.

هدفي في هذا المقام:

- التحسيس بخطورة فساد منظومة القيم والأخلاق.
- إبراز أن الوعي بالخطورة غير كافٍ، فالواجب الانطلاق نحو الفعل الصالح.
- بيان الترابط بين المنظومة القيمية الأخلاقية والحقول الاجتماعية والاقتصادية والفكرية...
- تحديد المسؤولياتِ وبيانُ الأطراف المتدخلة لإصلاح المنظومة الفاسدة.
- التأكيد على أهمية التعزيز الإيجابي والسلبي لإصلاح ما أُفسدَ وبناء ما هُدم.
- إقامة البرهان على أن الرقابة الذاتية غير كافية في النظرية الإصلاحية.

لا أدَّعي أني أحَطْتُ بالموْضُوعِ إحاطةً شاملةً؛ ولكنِّي ركزت على ما بدا لي مُهماً، وقد غابت عني أمور كثير أكثرُ أهمية، فالكمال لله. حاولتُ جهد المستطاع معالجةَ الموضوعِ بناءً على تصور؛ يكاد يكون؛ شاملاً يمتحُ من حقولٍ كثيرة: حقل الشريعة الإسلامية – حقل النفس البشرية– حقل علم الاجتماع – حقل علم النفس الاجتماعي – حقل الاقتصاد – حقل البيئة – حقل الأدب – حقل الإعلام – حقل التنمية البشرية...نسجت خيوطها نسجاً ونظمتها نظماً عسى أن تروق القارئ فيتخذها زينةً.

المحتويات

- تمهيد 2
- مقدمة 8
- تضاريسُ الحياةِ 8
- نظرية تواصلية – في العلاقات الاجتماعية: 12
- موضوع القيم صعبٌ 14
- اقتراح لتقسيم القيم 15
- إشكالية القيم 16
- مصادرُ القيم الأصليةُ والتبعيةُ 17
- العقلُ والقيم 18

ومن يقود العقل؟ 18
اعلم أن عقلك لا ينتج إلا بقدر ما يستهلك: 18
الذكاء ابن بيئته: 19
النمطية الفكرية قاتلة: 19
التقليد – مبحثا فكريا: 20
النقد البناء: 21
التفكير السليم والمعوج: 22
مناهج المعرفة المعاصرة، أعظم كارثة تهدد البشرية: 22
أسلمة المعرفة (العلوم) 25

- الحرية والقيم 29

هل أنت حر طليق؟ 29
هل الإنسان ضحية؟ 32
وهل الإنسان عاقل؟ 34

- القيم والأسرة 38

شهادة الكفاءة الأسرية! 38
شركة الأسرة: 38
التأثيرُ الميكانيكي والإلكتروني!! 39
صناعةُ الأطفالِ: 39

- القيمُ والإعلامُ 41

القـدوةُ في عصر الصورة: 42
ومن يتحمل المسؤولية إذا فسدت القيم؟؟ 44
- القيم والعنف: 47
إن العنف سلوك مكتسب لا فطري 47
تأثيرات العنف المشاهَدِ في وسائل الإعلام: 48
- القيم والمدرسة 51
حوار ماتع: 51
جرثومة الكسل: 53
- الأمية الحقيقية 61
ما الفرق بين المتعلمين وغيرهم؟ 61
الأمية الروحية وما أدراك ما الأمية الروحية 62
إشكالية العقلية المكتبية: 63
- القيم والقانون 64
- القيم والحداثة وما بعدها والعولمة وما بعدها 67
تعريف الحداثة وما بعدها والعولمة: 67
مع منظر الحداثيين العرب: 68
وهل تحمل الحداثة قيما جميلة؟؟ 69
ملامح العولمة والفكر الحداثي وما بعد الحداثي: 70
شفقةٌ ورحمة: 71
السريالية نحو المستنقع الكبير 72
- قيمة الإبلاغ والتصالح مع الكتابة قصد الإقناع 73
الكتابة قادرة واللغة مسعفة 73
التصالح مع الترجمة: 77
التصالح مع الأدب شعرا ونثرا: 78
- القيم والفطرة 79
فما هي علاقة الفطرة بالقيم؟ 80
حال الفطرة عند الولادة: 80
- القيم والاستهلاك: 82
صناعة المستهلك 82
جمعيات حماية المستهلك 83
الأطفال المستهلكون 83
ومن المسؤول عن التوعية؟ 83
هل الوعي بالخطورة كاف؟ 83
أخلاقيات العلم: 83

أنْسَنَةُ الشركات..... 84
- القيم والسعادة: 85
مما يقوله ابن منظور– في مادة سعد: 85
ماهية السعادة: 85
تحصيل السعادة: 85
الوصفة الإسلامية كلية شمولية: 86
السعاة والمال: 86
أنماط السعادات: 87
الإنسان ومشكلات الحياة: 87
من أجل السعادة البشرية 88
حسن التموقع/ سوء التموقع 91
- أزمتنا أزمة أخلاق وقيم 93
قيمة القيم 93
فصل الدين عن الدولة 93
العلمانية: نسبة إلى العلم أو إلى العالم 94
الإعلام وما أدراك ما الإعلام: 95
- محركات البشر: 96
متى سيملُّ عبّادُ الشهوةِ والمادةِ؟ 99
هل أنت فقير؟ 99
النظرة الإسلامية للحياة: 101
النظرة العلمانية وشبه العلمانية: 101
الطائفة المنافقة: 101
- البرغماتية والبرغماتيون: 102
البرغماتية في اعتقادنا نوعان: 102
الإسلام والبرغماتية: 102
البرغماتيون: 103
- نظرية لبناء القيم الجميلة 104
أولا: ملامح البناء الفلسفي للنظرية: 104
ثانيا: ملامح البناء العملي لنظرية القيم: 105
- فصل: الموَسِّطُونَ والمعَدِّلُونَ...أية قيم؟ 107
مقدمة: .....أوصاني جدي رحمه الله: 107
الوافد الجديد القديم: 107
خصائص الموسطين والمعدلين: 109
أهداف الموسطين والمعدلين: 109
ماذا يريد هؤلاء؟ 110

وللأسف للمرير: 110
يا قوم: 110
عدالة الإسلام لا تحتاج إلى برهان: 113
التشويه: 115
أصناف الموسطين المعدلين: 115
أصناف المفسدين: 116
الإرهاب والتوسيط: 116
سياق الظهور: 118
الإسلام سباق إلى العولمة– الفاضلة: 118
التقصير من الداخل: 119
مأسسة الخطاب الديني: 119
خلاصة الكلام 120

- الختم – التلوث الخلقي 121
- سأختم كلامي في القيم بمقال عثرت عليه في الشبكة العنكبوتية، في موقع صيد الفوائد، للدكتور 121

مقدمة

(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) سورة الإسراء 17

إن هذا القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم يرشد الناس إلى أحسن الطرق، وهي ملة الإسلام[5]، ويبشر المؤمنين الذين يعملون بما أمرهم الله به، وينتهون عمَّا نهاهم عنه، بأن لهم ثوابًا عظيمًا.

القرآن الكريم والسنة النبوية مصدرانِ رئيسانِ للقيم الجميلة والأخلاق الفاضلة النافعة في دار الدنيا والآخرة. والقيم الإسلامية والأخلاق القرآنية الربانية أحق بأن تعولم؛ لتنتشر في سائر أرجاء الدنيا؛ إنها قيم كونية صالحة لكل زمان ومكان ومصلحة للإنسانية والأكوان: تنظم علاقة الإنسان بربه ونفسه وأهله والناس المحيطين به والجمادات والأحياء البرية والجوية والمائية...ويعتبر الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم نماذج عملية لتطبيقات القيم الإسلامية والأخلاق القرآنية.

فالقيم الإسلامية ليست أنماطا نظرية ولا نماذج طوباوية؛ إنها سلوكات عملية وممارسات حياتية يومية تجسدت في سلوكات خير البرية صلى الله عليه وسلم ومن اتبع هداه من الصحابة والأئمة والشرفاء المهتدين بهديه المستنيرين بنوره...

تضاريسُ الحياةِ

إذا تأملت الوجود في هذا الوجود ألفيت نوعين من التضاريس يهيمنان عليه، ويحكمانه – هما: المرتفعات والمخفضات.

تمثل المرتفعات القيم الإيجابية، وكل جميل من السلوك والأقوال والأفعال...
وتمثل المنخفضات القيم السلبية، وكل قبيح من السلوك والأقوال والأفعال...

لتصعد المرتفعات والقمم تكون بحاجة إلى الزاد من القوة واللياقة والجهد والصبر والمصابرة والحذر... ذلك ما تستدعيه طبيعة النوع التضاريسي. وإذا لم تهيئ نفسك/

[5] الإسلام رسالة عالمية صالحة لكل زمان ومكان.

عقلك/ روحك للرقي والصعود فلن تصل لبغيتك، وقد تتعطل آلاتك قبل الوصول؛ لأن العقبة كأداء.

لتنزل المنخفضات لا تكون بحاجة إلى الزاد من القوة واللياقة والجهد، ويكفيك أن تساير طبيعة المنحدر فتنزل إلى الأسفل – الحضيض.

ونازل المنخفضات يكون في خطر، لأنه أقل تحكماً في نفسهُ – وهيَ تنساقُ وتنجرفُ.

وبفهم طبيعة تضاريس الحياة تفهم نفسك وتقف على حقيقتها– ولا يعنى هذا أن النفس شريرة بطبعها، ولا خيرة بطبعها، إنما يعني أن الإيجابيات في الحياة (+) تتوقف على جهد وصبر وتضحية وتخطيط...

وسيرة العظماء دليل على الذي نقول، فلم أُلْفِ رجلاً عظيماً – في ميدانه – بلغ القمة بدون جهد أو بقليل منه، ولو قال بهذا من قال، ولو نفى من نفى! فوراء كل عظيم جهد عظيم – والتوفيق من الله عز وجل أولا وأخيرا.

أما الضلال والانحراف والزيغ والكسل والتهاون والظلم... وكل ما ينتمي إلى حقل السلبيات(–) فلا أراه مكلِّفا؛ أو هو مكلفٌ ما يكلفُهُ نزولُ المنحدرات.

الكثرةُ الكاثرةُ من الناس ينحدرون من المنحدر منساقين استسلاما، إذ لا يكلفهم – ذلك– جهداً، ويتوافق هذا وجبلة في الإنسان برنامجها: الراحة خير من النصبِ.

ولما كثر المنحدرون النازلون عمت البلوى بالنزول، وانساق مع القطيع قض القوم وقضيضهم، سوقتهم وسراتهم، وأضحى المخالفُ – للنازلين– غريباً عجيبا أمره أو شاذاً.

ومن شرذمة المنحدرين أناس تلقوا برامج ألزمتهم بالانحدار، ولا علم لهم بحقائق الأمور– هؤلاء قوم سُلبت ألبابهم وهم لا يشعرون. فتلكم هي إحدى مظاهر خطورة الثقافة[6]، وذاك هو – جزء من– سلطانها فلتحذرها...

القلة القليلة من الناس ترقى وتصعد وتسمو وترتفع، ويكلفهم الصعود جهدا ونصبا، ولا يتوافق صعودهم ورقيهم والبرنامج الأصلي القديم الداعي إلى الراحة وترك المتعب الشاق.

تخامر– بعض الصاعدين / الراقين– المرية بين الحين والحين فيتساءلون: هل نحن على حق وهم على باطل؟

---

[6] " فإن الثقافة، فاعلم، تكاد تكون سراً من الأسرار الملثمة في كل أمة من الأمم وفي كل جيل من البشر. وهي في الأصل الراسخ البعيد الغور، معارف كثيرة لا تحصى، متنوعة أبلغ التنوع لا يكاد يُحاط بها". (المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. دار المدني بجدة. الطبعة 1987م/ 1407هـ ص: 28)

وتعتبر الثقافة نتاجا اجتماعيا إنسانيا مكتسبا انتقاليا وتراكميا متغيراً.

وللثقافة أهمية كبيرة في إعداد الطفل والنشء، ليكونوا أكثر فاعلية في محيطهم الاجتماعي والاقتصادي والفكري... لهذا فإن الأجيال غير مطالبة لتبدأ من الفراغ، وعليها أن تستفيد ممن حولها – من الإرث الثقافي – لتتعلم كيف تتكيف وتنسجم مع العالم الطبيعي والاجتماعي – والمحيط عموما.

إن أعضاء المجتمع لمطالبون بنقل التراث إلى الأجيال القادمة، مما تعلموه من الماضي وما أضافوه وما استفادوه من الحضارات الأخرى– بعد غربته. ليتحمل الجيل الجديد المسؤولية فيضيف للإرث الثقافي الموروث إضافات تنتقل إلى الأجيال الناشئة – وهكذا دواليك...

إن الثقافة المستقيمة الصالحة خير سند ومعين لتربية الأجيال القادمة تربية صحيحة، أما إذا كانت الثقافة السائدة فاسدة (مسمومة) أو معرضة لمنافسة شرسة من ثقافات فاسدة (كما هو الحال اليوم) ؛ فإنها تعرقل عمليات التربية والتنشئة السليمة. ويصبح الحريص على التربية السليمة كالسابح ضد التيار فينهزم في أغلب الأحوال. ويعتبر الإعلام الثقافي – المتخصص من بين الوسائل المقترحة لحل مشاكل فساد المنظومة الثقافة والأخلاقية...

أما أهل اليقين فإلى الذُّرا صاعدون؛ لا تأخذ منهم لومة اللائمين، ولا هزءة الساخرين، ما في قلوبهم يحركهم دفعا إلى الشموخ والرفعة، أما المذبذبون فسرعان ما ينساقون لنعيق النازلين. فيغدو القليل أقلَّ، وهم في الميزان الحق أعظم.

نظرية تواصلية – في العلاقات الاجتماعية:

العلاقةُ بين الناس تقطع ثلاثة أشواط رئيسة:

المرحلة الأولى: مرحلة التمثيلِ، يُظهر فيها الطَّرفان الجميلَ والحسنَ ممَّا يملكان أو يدعيان امتلاكه؛ فتعمُّ الطيبوبة والكلام الجميل المعسول والانسجام والإعجاب...

المرحلة الثانية: مرحلة التوسط / البَلْقَنَةُ /الظهور والخفاء. وفي هذه المرحلة تظهر – للطرفين– بعض الثقوب السَّوْدَاءِ، في الطرف الأول والثاني، مختلفة أحجامها. وهي مرحلة الدهشة النوعية؛ إذ يتجلى ما لم يكن متوقعاً من الطرفين / المجموعتين؛ فتنطرح الأسئلة/ المشاكل...

المرحلة الثالثة: مرحلة الحقيقة، وتنتهي إما ب:

- النزاع، (أو) ← كالطلاق مثلا؛
- الحياد،(أو) ← كالقطيعة غير المُعللة؛
- التواصل/ الاستمرار؛ وهو نوعان:

أ) تواصل النفاق الاجتماعي/ الكذب الاجتماعي؛ وهو السائد والمنتشر بكثرة في المجتمعات المتخلفة. قانونه:" المداهنة حتى يتحقق المَأْرب/ المقصد / المصلحة".

ب) تواصلُ العقلاء الألباء؛ وقانونه:" يعذر بعضنا بعضا ويتجاوز بعضنا عن بعض؛ فكلانا خطاء / المرونة الذكية. وذا قليل أي قلة!

المسافةُ بين مرحلة التمثيل ومرحلة الحقيقة تتباين بحسب نوعية المتعاملين ونوعية ثقافتهم؛ فقد تطول وقد تقصر.

– يمكنُ التعجيل بمرحلة الحقيقة من خلال ما يلي:

- التعاملات المالية؛
- التعاملات الاجتماعية؛
- كثرة الاحتكاك...

الكمال في الناس:

الكمال المطلق مفقود في الناسِ، خاص برب الناس سبحانه وتعالى. لهذا فالمطلوب التماسُ الأعذار الكثيرة، والحوار الصريح، وامتلاك القلب / العقل الشاسع المتجرد عن الأنانية والذاتية والنظرة الوثوقية – سبيل لتواصل فعال مثمر.

فالناس يحملون برامج؛ منها القديمة المترسخة في الكيان الموزعة في سائر أعضاء الجسد– التي يصعبُ اقتلاعها بين عشية وضحاها؛ ومنها البرامج الجديدة التي يمكن التخلصُ منها بذكاءٍ وحيلةٍ.

ثمرات النظرية:

- التواصل الاجتماعي – الفعال المثمر– ليس سهلا كما قد يتخيل كثيرون.
- التعامل مع الجوانب الجميلة في البشر والتنحّي عن الجوانب القبيحة.
- التسرع في الحكم على الناس – من أول لقاء – قمةُ الغباء والسذاجة.
- الاحتكاكات – المالية والاجتماعية...– تكشف عن جواهر الناس وأسرارهم/ حقائقهم.
- المرحلة التمثيلية ليست مقصودة دائما؛ فهي سلوك باطني– خارج عن الإرادة.
- إظهار الجميل النضِرِ الحسن وإخفاء القبيح المشين سلوك فطري (برنامج أصلي).
- التماس الأعذار للمتفاعَلِ معهم ركنٌ تواصلي ركين.
- الحقائق في مجال التفاعلات الاجتماعية ذات سمات متميزة؛ تختلف عن الحقائق الرياضية...
- استشراء النفاق الاجتماعي في المجتمعات المتخلفة – أصبح – منظرٌ مألوف.
- دهشة الحقيقة – قد– تؤدي إلى مآلات قبيحة.
- الحكم على الناس لا يكون دائما سليما؛ خصوصا إذا جُعِلَتْ الذات وبرامجها حكماً ومعياراً.

موضوع القيم صعبٌ

أرَانِي أجدُ صعوبةً كبيرةً في الحديثِ عن القيمِ. لا ترجع الصُّعوبة إلى الموضوعِ في ذاتهِ، وإنما لاختلافِ التصوراتِ والمنطلقات وتمثلات الأذهان[7] في مقاربة الموضوع. قد تَتَّحِدُ التصورات في أمور معينة؛ لكنها سَرعان ما تختفي في أخرى. وهل هو اختلاف تنوع أو اختلاف تضاد؟

يكون اختلاف تنوع في أحيان واختلاف تضاد في الأغلب الأعم من الأوقات. قد تكون القيم إيجابية وقد تكون سلبية، فما الفرق؟ وما هي الحدود والمنطلقات؟

وتتوقف الإجابة على هذين السؤالين على حل الإشكالية السابقة – إشكالية تعدد واختلاف وجهات النظر في موضوع القيم بين التنوع والتضاد.

بعودنا إلى الساحة والميدان نكشف صعوبة التعامل مع مفهوم القيم وصعوبَة تصنيف تصورات الناس وتمثلاتهم للموضوع. إنهم يجمعون علَى أهمية القيم الإيجابية الاقتصادية والفكريَّة والتربوية والنفسية... يجمعون بشكل صريح على ضرورة القضاء على القيم السلبية لمفاسدها وأخطارها الاجتماعية والاقتصادية... ورغم إجماعهم فإنهم يختلفون اختلاف تباين في التعريف والضوابط والحدود...

ولا يَفُوتُنَا أنْ نذكر بتيار متمرد ينفي القيم نفياً قطعيا داعيا علانية إلى تجاوزها، بل يعتبرها عائقا تنمويا أو خرافة أكل عليها الدهر وشرب...

---

[7] تبنى التصورات والمنطلقات والتمثلاتُ عبرَ مساراتِ التنشئةِ الاجتماعية. واختلاف المحيط والبيئة يؤدي إلى تباين طرائق الناس في التفكير والبناء وتصوُّر الأشياء. وتكاد تتحد تصورات الناس ومواقفهم في بعض الأمور المرتبطة بالمصلحة الفردية كأساليب تحصيل المال والسكن وإشباع بعض الغرائز...

اقتراح لتقسيم القيم

تزخر الساحة بتصورات متعددة لمفهوم القيم يمكن تصنيفها كما يلي:

- **تقسيم باعتبار الدّيــن:**

1- قيم من منظور إسلامي/ديني.

2- قيم من منظور غير أسلامي/ بعيدا عن الدين.

- **تقسيم باعتبار الاتفاق والاختلاف:**

1- قيم متفق عليها إجمالا.

2- قيم مختلف فيها تفصيلا.

- **تقسيم باعتبار الإثبات والنفي:**

1- فريق يثبت القيم ويعترف بها.

2- فريق ينفيها ولا تعرف بها.

- **تقسيم باعتبار الظاهر والباطن:**

1- قيم سلوكية ظاهرة.

2- قيم باطنة قلبية – عقلية.

- **تقسيم باعتبار الإطلاق والنسبية:**

1- قيم مطلقة.

2- قيم نسبية.

- **تقسيم باعتبار الحقول المعرفية:**

1- قيم اقتصادية.

2- قيم اجتماعية.

3- قيم فكرية...

إشكالية القيم

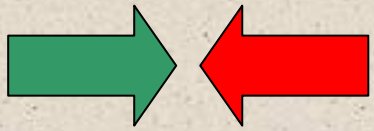

إشكالية القيم من أعوص الإشكاليات على الإطلاق؛ وهي أخطر من الإشكالية البيئية لسبب وجيه:

هو أن فساد القيم يؤدي إلى تخريب البيئة وتدمير الكون. فإذا التزم الناس القيم الجمالية وقيم المسؤولية ستكون البيئة بخير، وإذا فسدت التصورات واختلطت القيم السلبية بالأخلاق الفاضلة وهيمنت المادة على قيم الفكر وجماله فانتظر الكارثة...

فما أحوجنا إلى عقد قمة عالمية عملية جدية في موضوع القيم لتجيب عن سؤال مركزي هو: قيمنا إلى أين؟

وهذه القمة في نظري أهم من قمة عالمية في المناخ... وما فساد المناخ وتلوث البيئة وارتفاع درجة حرارة الأرض واتساع ثقب الأوزون وذوبان الثلوج في القطبين...إلا نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لفساد تصورات الناس وتلوث قيمهم بملوثات مادية ومعنوية.

– تلوث الأفكار= تلوث المناخ.

القيم إذن: سُلُوكَاتٌ جميلة وأخلاقٌ فاضلةٌ صالحةٌ في الآجل والعاجل.

مصادرُ القيم الأصليةُ والتبعيةُ

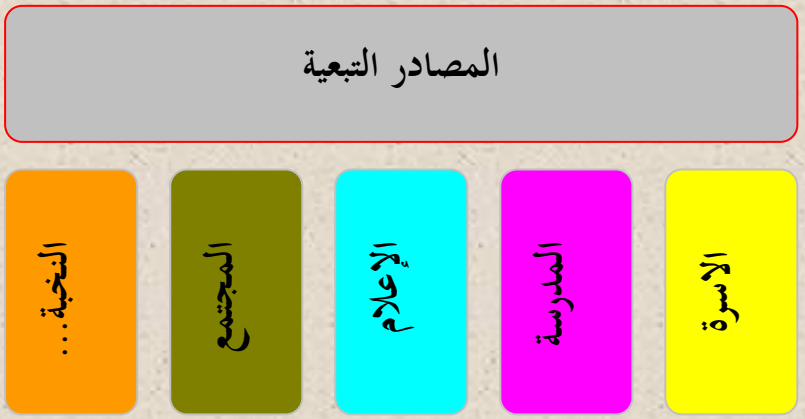

العقلُ والقيم

العقل قمة القيم...متى؟ إذا توجه به صاحبه الوجهة السليمة: أي إذا وجِّه في الاتجاه الصحيح. أما إذا اتجه به صاحبه الاتجاه المخالف فلا يمثل القيم الإيجابية الجميلة ولنْ يمثلها ما دام على ذلك الحال.

ومن يقود العقل؟

أنت تقود عقلك وقيمك تقودك. وما دامت قيمك تقودك فإنها تقود عقلك. فالقيم مرجع عقلي وسلوكي بامتياز.

- إذا صلحت القيم صلحت السلوكات والتصورات.
- إذا فسدت القيم فسدت السلوكات والتصورات.

- إذا خطط عقلك للسرقة سيكون بعيدا عن القيم الجميلة.
- إذا خطط عقلك للظلم والعدوان سيكون بعيدا عن القيم الجميلة.
- إذا خطط عقلك للإصلاح والإنتاج سيكون سفيرا للقيم الجميلة.
- وستدرك من هذه الأمثلة أن العقل منفذ ومخطط لإنجاز برنامجٍ، وقائده في ذلك الأخلاق والقيم.

اعلم أن عقلك لا ينتج إلا بقدر ما يستهلك:

وبقدر ما تزوده به. وطبيعة المادة المقدمة لآلة العقل/ المدخلات محدِّدة لنوعية وطبيعة المنتج / المخرجات. إذا أنت أجلت بالنظر في آلة العقل وأطلت فيها بالفكر وجدتها تنتج وفقا لمعايير القيم المعمول بها لدى الشخص.

الذكاء ابن بيئته:

فقد يظلم بعضهم باسم العدالة الاجتماعية والحكامة الرشيدة[8]، فلا تتاح له من الفرص ما أتيحت لغيره؛ ولو أتيحت له لكان مثل أقرانه من المحظوظين. فلا مجال للمقارنة بين طفل نشأ في حضن دافئ وطفل يعاني من التهميش والهشاشة...فللطفل الصحراوي ذكاؤه وللقروي ذكاؤه وللمدني ذكاؤه، كما للفقير ذكاؤه وللغني ذكاؤه...ويورث نصيب غير يسير من الذكاء عبر المسالك الثقافية...فقد تَرِثُ عن أسرتك الفقر إرثاً ثقافياً وقد ترث عنهم الغنى فكرا ومنهجا وذكاء وأسلوباً...تتعلمه من خلال التنشئة الاجتماعية.

النمطية الفكرية قاتلة:

كنْ مبدعا ولا تكن مقلدا، فإذا ابتليت بالتقليد ففكر في التجاوز؛ ولا تكتف بما قلدت فيه غيرك. إن وجدت صعوبة في التخلص من آفة التقليد فحاول التجاوز والإبداع ثم حاول... فبالمحاولة والخطأ نتعلم.

النمطية الفكرية تسبب الأزمات وتعمق الجرح. فمن واجب الأسرة والمدرسة والمؤسسات الإعلامية..أن يدربوا الأطفال والنشء الصغار على الإبداع والابتكار والنقد البناء...

ولكي تكون الأسرة قادرة على التدريب يجب أن تكون مؤهلة علميا وفنيا، أما المؤسسات التعليمية والإعلامية فمن الضروري أن تغير مناهجها وبرامجها لتكون أهلا

---

[8] الحكامة الرشيدة: يقال إنها أداة لضبط و توجيه وتسيير التوجهات الإستراتيجية الكبرى للمؤسسة...وتتوخى الحكامة المشاركة الفعالة والتدبير الجماعي المنظم والمسؤول في إطار دعم التواصل بين جميع المنخرطين بشكل شفاف وواضح...وهدفها الأسمى تأهيل الموارد البشرية – اقتصاديا واجتماعيا وفكريا وفنيا وسياسيا وتواصليا...– خدمة للمجتمع والبيئة، وفقا لرؤى إستراتيجية واضحة تستجيب لمتطلبات السوق الوطنية والدولية مع القدرة على المنافسة الشريفة...فالحكامة بعيدة البعد كله عن النظرية القطاعية والمجالية؛ إذ تحاول أن تلامس الواقع بجميع جوانبه...

لصناعة التجاوز والإبداع...أما إن بقي الأمر على حاله فانتظر أجيالا مقلدين أغبياء أو أشباه أغبياء يستهلكون ولا يحسنون الاستهلاك ولا ينتجون...

التقليد – مبحثا فكريا:

تعاريف لمصطلح التقليد– من منظور فكري:

- اتباع الفعل/ القول الجاهز.
- الاعتماد على أقوال / أفعال الآخرين.
- المحاكاة والاتباع.
- المحاكاة من عير حجة ودليل وبرهان.

التقليد في المباحات والفضائل:

يجوز التقليد في المباحات والفضائل الدنيوية والاختراعات والتجارب البشرية. فالحياة والحضارات قائمة على التقليد والمحاكاة. فإذا تأملت الحضارات والعمران البشري وجدته قائما على التقليد والمحاكاة لتجارب الآخرين وإنجازاتهم، وجزء آخر قائم على إبداعات علمائهم ومفكريهم، مستندين في ذلك على الموروث من تجارب الآخرين وابتكاراتهم.

التقليد والتطوير:

يجب أن يتحلى المقلدون بروح التطوير والتجاوز: يطورون إنجازات الآخرين وإبداعاتهم وتقنياتهم وأفكارهم ويتجاوزون ما توصل إليه المبدعون من أسلافهم.

الاكتفاء بالتقليد جمود لا يليق بكائن وهبه الله عقلا فياضا. فلو أن البشر لا يطورون تجارب أسلافهم لتجمدت الحياة وأصابها الخمول وعانت من الأمراض والأزمات – التي تفرزها الحضارة البشرية، وما أكثرها...

تقليد الغرب:

تقليد الغرب في المباحات والتجارب الناجحة والإبداعات الأدبية والعلمية والتقنية والخطط التنموية...مباح.

لكن يجب الحذر من أن يتسرب شيء من ثقافتهم الفاسدة وعاداهم الطالحة إلى العقل المسلم وحياة المسلمين، من غير أن يلقوا لذلك بال.

لكن يجب تطوير الإنجازات والإبداعات المقتبسة من التجارب الغربية، حتى لا نبقى عالة على الآخرين مرتبطين بهم – بإنتاجاتهم– ارتباطا مرضيا.

لكن يجب العلم بأن التقليد – قد – يجر وراءه ذيول الويلات العظيمة: الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والدينية والثقافية...

النقد البناء:

أسلوب من أساليب التطوير والتجديد وأصل من أصول نظرية البناء. وقد ينقلب النقد إلى هدم وتخريب إذا لم ينضبط لضوابط. فهناك على سبيل المثال أمور ومسائل لا مجال لدخول النقد إليها؛ فلو دخلها أصبح ذلك هدما، ومن تلك الأمور مسائل العقيدة والأصول الدينية وما لم يعلل في الشريعة تعليلا تفصيليا؛ لكونه من العبادات وما يلحق بها من المعاملات.

فالتجرؤ على الأصول سبيل لهدم القيم الجميلة والأخلاق الفاضلة:

دعوا عنكم الدين وأبدعوا واجتهدوا وابتكروا ونظروا...

بعض المجتهدين لا يحلو لهم الإجتهاد إلا في الدين، تركوا مجالات الإبداع والاجتهاد والنقد وتوجهوا صوب الدين؛ الدين الذي أنزله الله من فوق سبع سماوات.

إن للاجتهاد في الدين ضوابط وشروط وقواعد...

اعلم أن من الصمت إبداع: إذا التزم الإنسان الصمت فيما لا علم له به فذلك إبداع؛ بل قمة الإبداع.

التفكير السليم والمعوج:

أغلبنا يفكر وقليل منا من يفكر بطريقة سليمة، والتفكير السليم هو التفكير الذي يوصل إلى الجنة، أما التفكير المعوج فيدخل صاحبه النار: التفكير السليم يهدي إلى الإيمان والعمل الصالح، وهل يعني ذلك أن العلماء – من غير المسلمين – في الفيزياء والرياضيات...أصحاب فكر معوج؟

إن العقل البشري ينتج بقدر ما يستهلك. فمدخلات العقل متحكمة في نوع المستخرجات، ثم إن التعلم والإنتاج ذو طابع بنائي متسلسل مركب. يمكن للعقل؛ أي عقل؛ أن ينتج في مختلف المجالات والتخصصات العلمية والأدبية إذا فهم سر المدخلات والمخرجات – وفهم سر اللعبة الأدبية– وأجاد عملية البناء المعرفية. فما الفرق بين إنتاجات العقل المسلم – المتشبع بالقيم الإسلامية النظرية والعملية والعقل الآخر؟ بعبارة أخرى هل يؤثر إسلام المرء على أساليبه في التفكير؟ وهل منهجية البحث العلمية تختلف بين الاتجاه الإسلامية وغير الإسلامي؟ أسئلة تحتاج إلى إجابات شافية...

مناهج المعرفة المعاصرة، أعظم كارثة تهدد البشرية:

(ومن الأصوات القويَّة التي ندَّدت بمنهاج المعرفة المعاصرة: أبراهام ماسلو**Abraham H. Maslow** رئيس جمعيات علماء النَّفس في الولايات المتَّحدة في السبعينيات من القرن العشرين، والذي وصفته المجلات المتخصّصة بأنَّه حلَّ محلَّ – دارون، وفرويد، وسكنر – في التأثير على العقل الغربي عامَّة، ومن أقواله في هذا المجال:

"لا بدَّ من طريقة جديدة للمعرفة، ولا بدَّ من معنى أوسع للعلم؛ فإنَّ ملحد القرن التاسع عشر قد حرق البيت بدل أن يُعيد ترميمه، فلقد رمى بجميع الأسئِلة التي يطرحها الدّين وبإجاباتها معًا، وأدار ظهره لكل مقرَّرات الدين؛ لأنَّ القائمين على الدّين

قد طلعوا عليه بإجابات لا يستطيع قبولها، ولا تقوم على شواهد وبراهين يمكن أن يبلعها العالم الذي يحترم نفسه، ومن المسلَّم به الآن أنَّ علماء النفس الطبيعيِّين والإنسانيين سوف يعتبرون كل شخص لا يهتم بالدين وموضوعاته وقضاياه إنما هو إنسان شاذّ مريض"[9].

وممَّن ناقش آثار الانشقاق بين أدوات المعرفة البروفسور س. د. هاردي، الذي ذكر أنَّ اقتصار مناهج المعرِفة على ميدان المحسوس هو تصور ساذج وغير عملي[10].

كذلك أسهب "فرتز شوماخر" في تحليل آثار الانشقاق بين "علوم الوسائل"؛ أي: العلوم الطبيعية، "وعلوم الغايات"؛ أي: علوم الدين والقيم والأخلاق في التربية الحديثة، ومما قاله ما يلي:

"إذا كانت الحضارة الحديثة في أزمة دائمة فلن نبعد عن الصواب إذا قلنا: إنَّ هناك خطأ ما في نظمها التربوية، فنحن نؤمن أنَّ التربية هي المفتاح لكلّ شيء والعلاج لكل مشكلة، ولكن هذه الاهتمامات التربوية تركّز على النواحي التكنولوجية والعلمية؛ أي: هي تركز على وسائل الحياة دون غاياتها، وما تحتاجه التربية هو أن تعمل بالدرجة الأولى على تطوير الأفكار والقيم، أو ماذا يجب أن نفعل بحياتنا؟ صحيح أنَّ هناك حاجة لمعرفة وسائل الحياة، ولكن هذه الحاجة يجب أن تحتلَّ المنزلة الثانية من الأهمية؛ لأنَّه من الطَّيش أن نضع قوًى هائِلة في أيدي أناس لا يملكون أفكارًا عاقلة ترشدهم إلى كيفيَّة استِعْمالها"[11].

ويضيف دوبو: "ولن نستطيع تغيير العالم ما لم نقصَّ من عقلنا الجماعي المفهوم القائل: إن أهداف الإنسان هي قهْر الطبيعة وإخضاع العقل الإنساني، والوصول إلى تغيير هذا الاتجاه لن يكون أمرًا سهلاً؛ لأنَّ السعي للسيْطرة على الطبيعة وقيام تنمية غير محدَّدة

---

[9] أبراهام ماسلو، "خطر الانشقاق بين الدين والعلم"، ترجمة د. ماجد عرسان الكيلاني، مجلة الأمة، قطر، ربيع الأول1401، ص9.

[10] Harry Scholfield, the Philosophy of Education (London: George Allen& Unwin,1982) pp. 61 - 63

[11] E. Fritz Shcumacher، Small is beautiful, PP.80 - 81

يثيران جوًّا يكاد يكون مسكرًا، بينما الإيحاء بالاقتِراب من الاستقرار يخلق حالةً من التبلُّد؛ ولهذا السبب فإنَّا لن نقدر على تغيير طرائقِنا إلا إذا تبنَّينا أخلاقًا اجتِماعية جديدة، بل دينًا اجتماعيًّا جديدًا، ومهما كان شكل هذا الدين الجديد فإنَّ أصوله يجب أن تكون على وفاقٍ وتناسُق بين الإنسان والطبيعة بدل الاندفاع المتهوِّر للسيطرة والإخضاع"[12].)[13]

(لاحظ أحد العلماء المشتركين في مشروع أبللو لغزو القمر أن،" الإسهامات العلمية الحقيقة عادة ما يأتي بها عقل فرد متفرد، فرد يجرفه كثيرا منزع غير مبال لا يعنيه أن يذهب الجميع إلى الجحيم".

هذا النمط من الأشخاص يبتهج بحل المشاكل المتحدية لكن يفوته أن يأخذ في الاعتبار عواقب الحل. هذا الانفصال بين التفكير والشعور، في تطرفه أباح لعلماء النازية أن يجعلوا اليهود موضوعات للتجريب من أجل دراسة حدود الألم البشري. يساهم هذا التوجه في اغتراب البشر عن الطبيعة، وغتراب العلم عن المجتمع.)[14]

نموذج:

مشكلةُ البيئةِ مشكلة أخلاقية بالأساس، وعلاجها الحقيقي كامن– الجزء الكبير منه– في الرقي بأخلاق الناس والعودة بهم إلى الحياء والعدل والإحسان والإتقان والرحمة والرفق والاعتدال والتوازن...وغيرها من الفضائل التي فقدها الإنسان المعاصر والمناهج المعاصرة – المنقطعة عن الأخلاق والقيم الجميلة[15].

---

[12] Dubos، So Human an animal، (London: Sphere Books، Ltd، Rene ، p . 19. (1968

[13] انظر مقدمة بحث "نظرية المعرفة في التربية الإسلامية". الأستاذ الدكتور ماجد عرسان الكيلاني – بحث مقدم إلى المؤتمر الرَّابع للبحث العلمي في الأردن المنعقد يوم السبت الموافق 7 /11 /2009 في الجمعية الأردنية للبحث العلمي، عمان. المملكة الأردنيَّة الهاشمية.

[14] انظر أنثوية العلم عالم المعرفة العدد 306-2004 الصفحة:307

[15] تأثرَ مفهومُ العلم في العصر الحديث بالثقافة الغربية اللادينية. فقد عرفت منظمة اليونسكو العلم: "بأنه كل معلوم خضع للحس والتجربة". فما لا يخضع للحس والتجربة – حسب

تلك المناهج والفلسفات هي التي أوصلت الإنسان إلى ما وصل إليه من تقدم وقوة، ولكن ذلك (حاصل) على حساب استنزاف الموارد الطبيعية. قال كولن كلارك c clark، وهو عالم رياضي في جامعة بريتش كولومبيا: " معظم التقدم الاقتصادي البادي، قد يكون في واقع الأمر وهْماً خادعا قائما على الإخفاق في تفسير تناقص رأس المال الطبيعي"[16].

أسلمة المعرفة (العلوم)

* إن كل معرفة منشؤها ليس اسلاميا يمكن ان تدمج فى المنظور الاسلامى للعالم وتصبح «إسلامية» . هذه النظرة، التى اصطلح عليها اليوم بأسلمة المعرفة.

قال جابر طه علوان:

(...فأسلمة المعرفة تعني أسلمة العلوم التطبيقية والقواعد العلمية، بفهم التماثل بين هذه العلوم وقوانينها وسنن الوجود وقوانينه، وتوجيه هذه العلوم الوجهة الإسلامية وتوظيفها لتحقيق المقاصد الإلهية، كما أنها تُعنى بأسلمة العلوم الاجتماعية، لتتم بذلك أسلمة الإحالات الفلسفية للنظريات العلمية وتخليصها من البعد الوضعي، الذي يتجاهل الباري جل شأنه وينفي الغيب)[17].

(وقد تأثر مفهوم العلم في العصر الحديث تأثرا كبيرا بالثقافة الغربية السائدة ومفاهيمها، ولا يخفى أن هذه الثقافة الغربية بالرغم من نسبيتها وكونها غريبة المنشأ ولمصادر والأهداف والقضايا موضوع المعالجة، لكنها بحكم الهيمنة العالمية للغرب وسيادة المفاهيم الغربية على العالم كله قد فرضت نفسها على العلم، ومنه العالم الإسلامي.

التعريف– لا يعتبر علما– ولو كان شرعا ربانيا. وبذلك يفصل العلم عن الدين والأخلاق والقيم الجميلة؛ إذا لا دخل للأخلاق والقيم في البحث العلمي ومناهجه.

[16] انظر أنثوية العلم عالم المعرفة العدد 306–2004 الصفحة:29

[17] إصلاح الفكر الإسلامي – دار الهادي – الطبعة 1– الصفحة 131

وتأثر بالإطلاق الغربي لكلمة "العلم" على العلوم الطبيعية، وما تحتاج إلى التجارب والملاحظات والاختيار، فقد حاول كثيروت قصر العلم على المشاهدات والمجربات ومناهجها، ولذلك جاء تعريف اليونسكو للعلم:" إنه كل معلوم خضع للحس والتجربة". وقد ذكر بعضهم العلم بمعناه الواسع يمكن أن يطلق على أي فرع من فروع المعرفة، له منهج وقواعد ويجري على نظام، لكن من يريد الدقة فإن عليه أن يستخدمه في العلم التجربي فقط)[18].

(...وترتفع عشرات الأصوات لتعترض على دمج المعرفة الإسلامية.

فالمعرفة في نظر هذا الصنف من المخاطبين واحدة مهما كان مصدرها، وهي موروث إنساني مشترك يحمل صفات العالمية والتغير والتطور، ويعتبر ملكا للبشرية جميعها بمختلف مللها ونحلها...وقد غاب عنهم أن ما يحول دونهم والإدراك المطلوب، والمغزى المنشود من إسلامية المعرفة هو العجز عن التفريق بين العلم من جهة ومنطلقاته وهدفه وقيمته وحكمته من جهة أخرى...

ثم ازدادت أصوات المعارضين لإسلامية المعرفة خفتا وضعفا حين بدأ بعض الغربيين أنفسهم يشيدون بأهمية القيم في ضبط مسيرة العلوم، وينادون بإعادة الربط والاتصال بينها، ويوضحون مدى الخسارة الفادحة الي حلت بالبشرية نتيجة الفصام بين الدين والعلم، أو بين العلم والحكمة)[19].

وهناك فريق يعارض أسلمة المعرفة (العلوم)

ومما جاء في كلامهم:

(مصطلح "أسلمة المعرفة" من المصطلحات الحادثة، ينسب في الغالب للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، وقيل إنه للدكتور إسماعيل الفاروقي – رحمه الله –؛ وهو من كبار مؤسسي المعهد والمنهج القائم عليه، أما مصطلح "أسلمة" فهو من الألفاظ

---

[18] إصلاح الفكر الإسلامي – دار الهادي – الطبعة 1– الصفحة 129

[19] إصلاح الفكر الإسلامي – دار الهادي – الطبعة 1– الصفحة 78–79

الشائعة في الدراسات الغربية وكتابات المستشرقين، والمراد منه إدخال الناس للإسلام، أو تحويل الفكر من منهج ما إلى منهج قائم على الإقرار بشرائع الإسلام، كقولهم أسلمة أوربا، أسلمة الجامعات، أسلمة العقل... ففي الغالب لم يجر على لسان العلماء المسلمين، مثله كأن يقول أحدهم: موقف الإسلام من كذا، هذا لا يعارض الإسلام...

...وقال الشيخ رمضان سعيد البوطي:" أسلمة النفس لا أسلمة المعرفة، غير أن هذه الحقيقة وإن كانت ثابتة دون ريب، لاتستدعي رفع ذلك الشعار الذي قد يخطر بالبال لأول وهلة؛ وهو"أسلمة المعرفة"، ذلك أن الإسلام لا يتطلب أكثر من أن تكون المعرفة معرفة صحيحة، صافية عن الشوائب، وبعيدة عن التحيز إلى أي جهة؛ قد تبعدها عن ميزاتها العلمية الحيادية، إن التعبير بِـ"أسلمة المعرفة"؛ يوحي بفرض تحيز ما على النشاط المعرفي للفكر، وهو ما تنأى عنه طبيعة منهج المعرفة من حيث هو"...

...وقد اقترح الفيلسوف طه عبد الرحمن استبدال" أسلمة المعرفة" بـ" التقريب" إقتداء بالإمام ابن حزم الظاهري في كتابه" التقريب لعلوم المنطق". وقد وضع آخرون مصطلح" تكامل المعرفة " لتدارك التحيز الذي يوحي به مصطلح"أسلمة"، لكن، ينبغي طرح مصطلح يجمعها كلها في غاياتها ويتفادى سلبياتها، وهو"وحدة المعرفة"، فغاية الرسالة السماوية التوحيد، والحقيقة واحدة، والطريق واحد، والقول بالتكامل لا يكون إلا عن خلاف واقع لا اختلاف؛ لأن الخلاف يحصل عن تنوع، والإختلاف عن تضاد، فينتج عن الخلاف حال الحوار تكامل، والتكامل يرام منه التوحيد في الكلمة والتعاون في العمل والتنوع في الأفكار فلا يقع الصدام، بالبعض يكمل البعض الآخر. ومصطلح"أسلمة المعرفة" كان المراد منه جعل العلوم في خدمة التوحيد والإيمان، وجعل العلوم كلها لنصرة حقائق الإسلام الكامن في الكتاب والسنة، وتجلية الإعجاز العلمي، وتقعيد العلوم الإنسانية على ضوابط العقيدة الإسلامية، والتحاكم لأولي العلم

من المسلمين فيما اختلفوا فيه، بعد أن صارت العلوم توجه للطعن في الإسلام والعقائد الموحدة، بل صارت في خدمة الإلحاد ومركزية الإنسان)[20].

[20] أسلمة المعرفة: إعادة صياغة المصطلح بليل عبدالكريم – مقال– منقول من موقع شبكة الألوكة www.alukah.net

الحرية والقيم

هل أنت حر طليق؟

يبدو السؤال؛ بادئ الأمر؛ تافها ساذجا، لكنك إن تأملته وأمعنت فيه بالنظر وأجلت فيه بالفكر أدركت أمورا كثيرة ومسائل خطيرة...

إنك عبد لله اختيارا أو اضطرارا؛ فإذا لم تك عبده اختيارا فإنك عبده اضطراراً. كيف ذلك؟

- العبودية الاختيارية: أنت من يختارها ويلتزم بها إيمانا وعملا. ويدخل في هذه الخانة المسلمون العاملون بتعاليم الإسلام.
- العبودية الاضطرارية[21]: أنت لا تختار أن تكون عبدا، ولكن سنة الله قد جرت من قبل على أن تكون خاضعا لسنة الله في كونه وقوانينه في أرضه سبحانه وتعالى.

---

[21] قال اسبينوزا:" إن الناس يخطئون إذ يظنون أنفسهم أحرارا، وهو ظن لا يرتكز إلا على أن لديهم وعيا بأفعالهم على أنهم يجهلون الأسباب التي تحكمت في هذه الأفعال. وإذن فقوام فكرتهم عن الحرية هو أنهم لا يعرفون أي سبب لأفعالهم. وذلك لأنهم حين يقولون إن الأفعال الإنسانية تتوقف على الإرادة، فهم إنما يتفوهون بألفاظ ليست لديهم أية فكرة عنها. والواقع أن الكل يجهلون ما هي الإرادة، وكيف يمكنها تحريك الجسم." الأخلاق Ethies الباب الثاني – الملحوظة القضية 35

يتحدث الكاتب عن حرية نوعية خاصة– حرية بالمعنى الفلسفي: وهي حرية الإرادة، في علاقة الإنسان بذاته وتصرفاته. ويرى أن الحرية مزعومة غير صحيحة، وهي نابعة من الجهل بالأسباب والدواعي. فلو عرفها الإنسان لعلم أنه ليس حرا. ويصف الكاتب القائلين بحرية الإرادة البشرية بالجهل بماهية الإرادة وآليات تحريكها للجسد.

فإذا تأملت فكرة الكاتب وجدتها تحصر الحرية في حرية الإرادة في علاقتها بالجسم / الذات، ولا يتناول الحرية بمعناها الواسع/ علاقة الذات بالمحيط الاجتماعي والسياسي والفكري... فكلام اسبينوزا لا يشمل المسجونين والعبيد (الجدد) والذين صودرت أقلامهم وأفكارهم...

فأنت –إذن– محكوم بضوابط إلهية: كالفناء والمرض والقوة وقوانين القضاء والقدر...فلات حين مناص أن يخضع لها المؤمن والكافر والملحد...

سُوءُ فهم كثير من الخلق لمصطلح الحرية جرَّ علينا ويلات كثيرة ومصائب جليلة. فهل تعني الحرية تدمير الكون؟ وهل تعني التلاعب والاستخفاف بعقول وأذواق المستهلكين؟ وهل تعني تحرير المرأة من التزاماتها الطبيعية وإعفاء الرجل من مسؤولياته؟ وهل تعني إباحة زواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة؛ باسم الحداثة والحرية الشخصية؟؟

إذا كانت الحرية تعني ذلك فتلك هي الطامة الكبرى والمصيبة العظمى...إذ كيف يستقيم هذا الأمر في أذهان من يدعون العقل والبصيرة والتزام أساليب الحداثة؟

لن أحكم على مثل هذه العقول إلا بالضلالة والجهالة...فلو حكَّموا علم المستقبليات[22] لبلغت عقولهم الحقائقَ. لن نطالبهم بالعودة إلى الدين ليلا ننعت بالرجعية والأصولية...ونطالبهم بقراءة الواقع الحاضر قراءة واعية؛ لاستخلاص العبر والمواعظ واستشراف المستقبل...إنهم ضحايا التربية الفاسدة والمناهج البائرة؛ لهذا يجب أن نشفق عليهم من هذه الناحية...

---

[22] الدراساتُ المستقبليةُ / أو علم المستقبليات: ليست رجماً بالغيب ولا تخمينات عامة، بل جهدٌ علميٌ مُنظَّم ينبني على معطيات الواقع الحاضر وتجارب الماضي لاستشراف المستقبل بناء على رؤية افتراضية توقعية. ومن أهدافه تحديدِ احتمالاتٍ وخياراتٍ مختلفةٍ مشروطةٍ لمستقبلِ قضيةٍ/ ظاهرة، أو عددٍ من القضايا / الظواهر، خلالَ مدةٍ مستقبليةٍ محددة، بأساليبَ متنوعة، اعتمادًا على دراساتٍ عن الحاضرِ والماضي أو خارجهما (البناء على أفكار جديدة لا تنتمي إلى الحاضر والماضي/ أفكار مستقلة).
وقد ظهرت الدراسات المستقبلية في منتصف القرن العشرين الميلادي، في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم في أوروبا؛ وأذكتها عوامل الدفاع العسكري.
وقريب مصطلح "الدراسات المستقبلية" من المصطلح الأصولي مراعاة المآلات.

لو أنّك قارنت عبودية الإنسان للإنسان؛ كما عرفت قديما؛ بالعبودية الجديدة – الاقتصادية والاجتماعية والفكرية...لأدركت أن هذه الجديدة لا تقل خطورة عن العبودية القديمة.

يقولون إن زمن الرق قد ولّى، ونقول لهم: إنَّ الجملة غير تامة، وتمامها: إن زمن الرق قد ولى وعاد في حلة جديدة.

ألست الأموال المكدسة في أيد قليلة دليلا على وجود عبودية اقتصادية؟ ... وواقعنا المعاصر يعج بالأمثلة فلا داعي للإطالة...

يخفي مصطلح الحرية من وراء ظهره ويلات كثيرة ومآس وآلاما ومعاناة. فكم حرمات انتهكت باسم الحرية. وكم بيوت هدمت باسم الحرية والتحرر...وكم وكم...

" ينادون بالحرية ليبنوا بها المدينة الفاضلة. ولما انكشف الستار أدركنا أنها تستعمل معول هدم لا بناء، فتألمنا وحزننا وأحسسنا أننا غبنا وظلمنا...فانتظرنا منهم الاعتذار فقالوا لنا أنتم أحرار...وعدنا من حيث بدأنا...فتلكم هي قصة الحرية...

هل الإنسان ضحية؟

لا تعجب من نظريتي أيها الإنسان.

إن إنسانيتك تقتضي ذلك– تقتضي أنك ضحية. أنت عنصر من عناصر البيئة تخضع لنظامها ونسقها رغما عن أنفك – العبودية الاضطرارية.

تذكر أن المحيط الذي تحيط بك أسواره وتحتضنك جدرانه قد سبقك إلى الوجود، فلما فتحت عينيك وجدته موجوداً. فسيطر عليك وروضك توريضا...ولم ينفلت من قبضته سوى عناصر قليلة وقليلة جدا...والمنفلتون لا يختلفون اختلافا جوهريا عن إخوتهم.

إذا عدت أيها الإنسان المفكر إلى أغلب الذين ظننتهم قد انفلتوا من سلطة المجتمع[23] والبيئة وجدتهم – إذا أنت تأملتهم– لا يختلفون عن السواد الأعظم إلا اختلافا شكلياً.

---

[23] يشير مصطلح "المجتمع" إلى جماعة من الناس يعيشون معاً في منطقة محددة، وتجمعهم ثقافة مشتركة تختلف عن غيرها من الثقافات – إن اختلافا كليا أو جزئيا. وينظرون إلى أنفسهم كيانا واحدا متميزا، يتكون من مكونات ومن وظائف متصلة بعضها ببعض تحقق رغبة الجماعة ومتطلباتها المختلفة. ويتضمن المجتمع بعض النظم الاجتماعية الأساسية الضرورية، كالنظام الاقتصادي والسياسي والتربوي والديني...لمواجهة الحاجات البشرية الأساسية تحقيقا للنظام والتوازن الاجتماعي.

الأنساق التي تكون المجتمع:

– النسق الديني: فالتدين ضرورة بشرية.

– النسق التواصلي: نسق الاتصال والتفاعل بين الأفراد.

– النسق الاقتصادي: نسق الاقتصاد الخاص بأمور الإنتاج والتوزيع.

– النسق الاجتماعي: أجهزة التنشئة الاجتماعية، كالأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام...

– النسق السياسي: نسق السلطة والتدبير الخاص بالجماعة– قوانين عادات...

كنتَ من كنت أيها الإنسان فإنك ضحية: ضحية مجتمع، ضحية إعلام، ضحية أبيك وأمك وأسرتك وجيرانك، وضحية البيئة– البيئة الاجتماعية والجغرافية – التي ترعرعت فيها، وترعرع فيها أجدادك...

وإنسانيتك أيها الإنسان تقتضي ذلك.

*****

قد لا تكون ضحية لمنهج قوي تمتلكه أو فكر مستقيم يوجهك، فهذا وارد؛ لكنه قليل أو منعدم.

*****

أنت مسير– بالمعنى الاجتماعي للكلمة – خصوصا في زمننا هذا. فالقوى المحيطة بك؛ وما أكثرها؛ أقوى من قواك وفوق طاقتك، بل إنك نتيجة مباشرة وغير مباشرة لمجتمعك وبيئتك والمحيط المحيط بك؛ والذي لا تستطيع أن تتخلص منه ومن قيوده.

*****

مثلا: تجدُ الملتزم بشريعة الإسلام مضايقا محاصرا– خصوصا في البلاد غير المسلمة– وقد تضطره القوة الخارجية – بشكل غير مباشر/ ضمني– إلى التنازل عن بعض مبادئه الإسلامية، لأن العادات البيئية مستحكمة وقاهرة. ولا أتحدث هنا عن البلاد التي تصرح بمنع المسلم من مزاولة الشعائر الدينية...فهذا موضوع آخر.

ومن أشر السلط–الداخلية– المواجهة للإنسان هواه؛ وهو من السلط الداخلية المضمرة المستترة التي تَبنى عليها القوى الخارجية خططها[24].

*****

الإنسان مطالب بالاجتهاد للوصول إلى الحقيقة؛ يجاهد السلط الداخلية والخارجية بما أوتي من قوى ظاهرة وباطنة. إنه اجتهاد صعب يحتاج إلى مراس وقوة ووحدة وتماسك...

---

[24] مخططون يستهدفونك بخططهم ومشاريعهم الاقتصادية والفكرية وغيرها...

******

وهل الإنسان عاقل؟

الإنسان عاقل لأنَّه يربط المحيط الخارجي بالبيئة الداخلية.

إذن العقل يستهلك ثقافة المحيط: يدمجها وفقا لبنياته ووفقا للضوابط الخارجية المتوافرة في ساحة المجتمع المحلي – والدولي.

أما الإنسان المستقل فلا أتصور وجوده. وقد يزعم كثير من الناس الاستقلال؛ فإذا تأملتهم عرفت أنهم ليسوا مستقلين؛ بل تابعين متأثرين – منفعلين. وما يرونه من استقلال وهم وانغلاق...

******

قد تحكمون عليَّ من خلال مقالي هذا بأني مادي إلى النخاع؛ لأني صبغت العقل بالصبغة المادية وجعلت منه علبة تُحتوى تَسود وتَبيض حسب المحيط وحسب الثقافة والموروث والعادات والتقاليد والأحداث والمستجدات... ولا يضرني ذلك مادمت أبحث عن الحقيقة مزيلا للنقاب عن جوهر العقل البشري؛ المستهلك – الأول– للثقافة.

*****

إذا عدت إلى نفسك وجدتك خليطا مندمجا وغير مندمج من مكونات الثقافة والعادات والموروث والأحداث والمستجدات... أعرف أنك نسخة جديدة لكنها غير مستقلة. فلتعترف بذلك.

******

عقلك لا ينتج إلا بقدر ما يستهلك، بقدر ما تزوده به. وطبيعة المادة المقدَّمة لآلة العقل هي المحددة لنوعية وطبيعة المنتج.

وآلة العقل هذه إذا أنت أجلت فيها النظر وأطلت فيها بالفكر وجدتها تنتج حسب طبيعة وخصائص الآلة – فالآلة العقلية تؤدي وظيفتها حسب الإيديولوجية التي تنتمي إليها.

ولا أتصور وجود خطاب خال من الخلفية الإيديولوجية/ الفكرية. ومن زعم ذلك فقد أخطأ.

****

مسألة التغيير من حالة المفعول به / الضحية إلى حالة الفاعل/ حالة الحرية والإرادة واردة؛ لكنها فعل جماعي يحتاج إلى قوة داخلية وخارجية. إنها ثورة جماعية متكاملة مندمجة أساسها فعل وجداني وقبول قلبي...

فيمكن للقلب القويِّ أن ينتج الحرية وينعتق من العادات والتقاليد والسلوكات الموروثة وأشكال التصحر الفكري، إذا عاد إلى ذاته عودة صريحة، يستحضر فيها أنموذجا من الأنموذجات القوية.

****

الملام ورفعه عن الإنسان:

وهل الإنسان ملامٌ أم مرفوع عنه الملام لأنه ضحية تربية ومنهج قديم ورثه عبر الثقافة التي ارتضع لبانها وهو في المهد صبي؟

سَيُلاَم المرء إذا أخطأ أو أفسد أو تعدى الحدود لاعتبارات:

- لأنه إنسان مكلف بالإصلاح،
- لأنه ملزم باتباع شرع، يهديه إلى سواء السبيل إن ضل عنه،
- لأن خلايا الخير والفطرة السوية سرعان ما تنطق بالحق– هذه الخلايا مبثوثة في كل إنسان وتومض في أوقات ترشده إلى سواء السبيل.

*****

لا أظن عاقلا يقول أو يدعي:

- أن قتل النفس بغير حق فعل جميل.
- أن السرقة فعل خير.

- أن الحروب سلوك مطلوب.
- أن الغيبة والنميمة سلوكان مطلوبان.
- أن الجشع والطمع... أفعال خيِّرة...

******

فهذه أمور أخلاقية كبيرة تعتقدها جل العقول السوية[25]، وقد يحدث اختلاف في الأمور الجزئية الدقيقة والتفاصيل والتفريعات، ويرجع في ذلك الاختلاف إلى اختلاف زوايا النظر، يمكن أن تقاس إلى أصولها وترد لجذورها– والاختلاف قائم رغم ذلك.

******

ولا أنفي وقوع بعض العناد والنكران من أطراف غلبت أنانيتها المرضية خيرَها المبثوث – بثاً– قديما في خلاياها.

وطبيعة هذا النكران والعناد إنما هو ظاهري غير باطني؛ ومعنى ذلك: أن الناكر لا ينكر لحجج قائمة في ذهنه، بل لججا وعنادا وأنانية وحبا للتجاهل– يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

*****

لا أعتقدُ أن قولي إن الإنسان ضحية تربية ينفي أنه كائن متطور متحول متجدد. فهو دائم التجدد والتحول وفقا لنظام ونسق ذاتي ينبني على عناصر التركيبة السابقة – نحو تجدد يتناغم مع المادة الأولية القديمة المركزة فيه وفي أجداده.

******

يمكنُ للإنسانِ أن يتميَّز عن النمط الثقافي السائد في مجتمعه. يمكنُه أن ينفرد عن غيره. ولكن انفراده في الأخير، إذا تأملته لن تجده انفراداً وتميزا كلياً، بل حالة قابلة للتفسير في ظل الثقافة الموروثة. إن الثقافة تسكننا على نحو عجيب لا ندركه– فنزعم أننا متميزون ومنفردون.

---

[25] إلا على سبيل التأويل الفاسد، وما فسد العالم إلا بالتأويلات الفاسدة.

******

قل لمن يدعي الانفراد والتميز:

إن انفرادك جزء – لا يتجزأ– من ثقافتك الموروثة. عقلك الذي يوهمك بالتميز مليء عن آخره بالثقافة (تسبح في مياه الثقافة أفكارك وخواطرك وهواجسك...) التي استهلكتها وهو يعلم أو لا يعلم، يشعر أو لا يشعر.

******

دعني أوضح لكم نقطة أظنها غير واضحة وهي مسألة الانفراد المزعوم:

فمكونات الثقافة تصنع قوالب تفرغ فيها الأفكار والمواقف والاتجاهات، فيظنها الإنسان من بنات فكره ووجدانه، فإذا هي من نتاج المجتمع الذي ترعرع فيه ونشأ.

******

ومن الأمثلة التي أقدمها شاهدا على أن التميز مزعومٌ ووهمٌ لا يستند إلى حجج:

- ثيابك التي ترتدي على ظهرك. فهي ليست من صنعك.
- لغتك التي تتكلم بها وتتواصل بها مع أبناء جلدتك. فقد ورثتها.
- الإعلام الذي تشاهده ويسكنك على نحو عجيب؛ لا تدركه.
- لا تختلف عن غيرك إلا اختلافا شكليا...

******

اعترف، فإنك ضحية الثقافة التي تنتمي إليها وعقلك ينتج بقدر ما تستهلك. فالعقل لا يتعدى أن يكون آلة من الآلات تدخل إليها المادة الأولية ليركب منها منتوجات، فلا تنتظر أن تقدم لك الآلة خلاف ما أدخلت إليها؛ فهذا غير معقول وغير متصور. فلا تعتقد أن يستطيع امرؤٌ التكلم بلغة لم يدرس حروفها وقواعدها وبنيتها، فإن طالبته بذلك فإنك تطالبه بالمستحيل.

القيم والأسرة

شهادة الكفاءة الأسرية!

"كلُّ المهن تتطلب ترخيصا وشهادة لإثبات الكفاءة والصلاحية إلا تكوين الأسرة؛ فإنه لا يتطلب شهادة ولا تكويناً...كن من شئت وكوِّن أسرةً أو أسرتين... فالباب مفتوح على مصراعيه للصالح والطالح...ومن النتائج المترتبة عن هذا الوضع – المأساوي – تفسخ الأسر وانهيار المنظومة القيمية... ".

شركة الأسرة:

- تعتبر الأسرةُ المدرسةُ الأولى لتلقين الأطفال القيم الجميلة.
- ويتوقف نجاح شركة الأسرة على مبادئ ومنطلقات ومواصفات...يمكن صياغتها إجمالا في عبارات عامة فضفاضة:

1– حسن الاختيار 2– حسن التدبير والتسيير 3– الصبر الجميل 4– التفاوض الإيجابي 5– الحرص على تنفيذ البرامج والأهداف المسطرة 6– التقييم الدوري للأهداف والنتائج 7– القدوة الصالحة.

- تتحمل الأسرة مسؤولياتها الكاملة إذا فسدت قيم أبنائها.
- إذا لم ينضبط مفهوم القيم في أذهان الأسر وتمثلاتهم ولم تفهمه الفهم السليم فلن يتحقق المقصود.
- إذا لم يحصل التوافق بين الزوجين وساد بينهُما التوتر والنزاع اختلت القيم في الأغلب الأعم.
- الأسرة حلقة مهمة من حلقات مسار التنشئة الاجتماعية والتنمية البشرية، تؤثر وتتأثر...

التأثيرُ الميكانيكي والإلكتروني!!

لا تؤثر الأسرة في أبنائها تأثيرا ميكانيكيا ولا إلكترونيا، ذلك لأن الأبناء يتأثرون بمحيط آخر غير المحيط الأسري كالإعلام والشارع... والجدير بالذكر كذلك أن صلاح الأسرة لا يقتضي بالضرورة صلاح الأبناء؛ وإن كان ذلك لا يعفيها من مسؤولياتها.

إن التربية عملية معقدة يتداخل فيها المعطى النفسي والاقتصادي الاجتماعي والفكري...فالإنسان (عقلا– وشعورا) ابن بيئته: ويشمل مصطلح البيئة معنيين:

1– البيئة الأسرية.

2– البيئة الاجتماعية العامة.

صناعةُ الأطفالِ:

تربية الأطفال؛ في حقيقتها؛ صناعة من أصعب الصناعات وأعقدها على الإطلاق، إنها صناعة مهمة؛ أي أهمية؛ يتأسس عليها رقي الأمم وازدهارها.

وتحتاج هذه الصناعة إلى يد عاملة كفأة ومؤهلة خبيرة بقواعد التربية التعليم وأسس البناء النفسي والفكري والعقدي... وأسلم بيئة لنمو الطفل؛ نموا سليما؛ هي مؤسسة الأسرة، في حضن أب مسؤول وأم رؤوم.

أما إذا أسندت التربية لمؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى: كالإعلام والشارع/ المجتمع...من غير حسيب ولا رقيب، سيكون النِّتَاجُ رديئا وسيئا أو فاسدا. وبفساد الطفولة سيفسد العالم – لأن أطفال اليوم رجال/ نساء غدا، يسيِّرون ويدبرون ويقودون...

والطفل ضحية التربية الفاسدة (المشحون بالفساد) مآله أن يكون أبا فاسدا– إلا إذا هداه الله بهدايته.

والأب الفاسد لا لن ينتج إلا نماذج فاسدة – إلا أن يشاء الله فيخرج الحي من الميت ومن الميت الحي...

البيئة والتربية:

فلا يمكن أن نرى الطفل يحبُّ بيئتهُ، ويَميل إلى تحسينها والمحافظة عليها إذا لم يخضَعَ في مراحل نموه (في البيت والمدرسة والشارع ووسائل الإعلام...) لتربية فنية جمالية، تكون متمركزة – أساسا– على التَّذَوُّق ومَحَبَّة الخير والفضيلة والجمال.

ولا يتأتَّى ذلك إلا إذا فهم الطفل (وقبل ذلك أبواه ومجتمعه...) أنه مسخرٌ في هذا الكون للإصلاح والعبادة؛ وهي قمة الصلاح.

القيمُ والإعلامُ

بادئ ذي بدء نذكر بعض فوائد الإعلام المرئي باعتباره أكثر الأنواع الإعلامية اكتساحا للساحة:

- جمعه بين التثقيف والتربية والترفيه.
- مخاطبة حاستي السمع والبصر.
- قدرته على إشباع الاحتياجات الإنسانية لمرحلة الطفولة.
- قدرته على تنمية خيال الطفل وتغذية قدراته.

ومن تأثيراته السلبية:

- التأثير العقدي؛ من خلال تلاعب بعض المحطات الإعلامية بعقائد المسلمين وتشويه أسسها وضوابطها.
- التأثير الأخلاقي القيمي؛ من خلال نشر الرذيلة والفساد...
- التأثير الاقتصادي الاستهلاكي؛ من خلال الحملات الإشهارية والدعائية
- التأثير الجسمي الصحي– النفسي وغيره...

أشكال / أنماط التأثير الإعلامي:

- تغيير المواقف والاتجاهات؛ المعرفية والفكرية..
- التنشئة الاجتماعية والتربية.
- الإثارة الجماعية الاستثارة العاطفية.
- الضبط الاجتماعي.
- صياغة الواقع وتكريسه..

القـدوةُ في عصر الصورة:

لم تبقَ الأسرةُ ولا المدرسة مصدرَ القدْوةَ والأسوة والنموذج؛ بل خضعت الأسرة والمدرسة لسلطة أخرى عجيبة ناعمة ساحرة مثيرة مرفهة عن النفوس جذابة، قادرة على التأثير مقتحمة للبيوت عُنوة، أذابت الأطفال وسلبت ألبابهم وأدبت الكبار وما أحسنت تأديبهم...إنها سلطة الإعلام[26] المرئي المسموع المقروء، متجسداً في التلفاز والشبكة العنكبوتية...فأصبح الإعلام مدرسة موازية، بل مهيمنة.

(كانت المدرسة إلى عهد قريب، تساهم مساهمة كبيرة في التنشئة الاجتماعية للفرد وفي تزويده بالمعرفة والقيم الأخلاقية والاجتماعية. إلا أن انتشار وسائل الإعلام، لاسيما التلفزيون، أضعف من المدرسة التي لم تَعُدْ المصدر الرئيسي للمعرفة والقيم الأخلاقية والاجتماعية. ففي بلد كالمغرب قدر الفارق بين ساعات البثِّ التلفزيوني وساعات التدريس في المدرسة بنسبة واحد إلى ثلاثة، أي أن ساعات البث التلفزيوني تبلغ ثلاثة أضعاف ساعات التدريس التي تقوم بها المدرسة)[27].

(يُشكل التلفزيون على حدِّ تعبير دي لوي مدرسة موازية وعاملَ توحيدٍ للأجيال الصاعدةِ؛ وفي المدرسة الموازية هذه، التي أسسها جهاز التلفزيون؛ لم يَعُدْ الوالدُ يمثل النَّموذجَ بالنسبة للطفل، بل أصبحَ بطَلُ المسلسلاتِ هو المثالُ والنموذجُ.
إن حيزا كبيرا من رغبات الطفل المعاصر يشبع بالواسطة؛ بصور الدعاية والمسلسلات التلفزيونية)[28]

---

[26] أصبح التلفزيون أحد أفراد العائلة يساهم بشكل كبير في غرس الثقافة؛ إذ يرتبط به الأطفال في سن مبكرة، كما يساهم في التنشئة الاجتماعية والثقافية؛ فهو يزود المشاهدين بمختلف المعلومات الدينية والتاريخية والجغرافية وسائر العلوم... وهذه من محاسنه ومزاياه. وما دام يرتبط بالإنسان – المعاصر – منذ صباه ونعومة أظافره فإنه سلطة ثقافية بامتياز.

[27] التنشئة الاجتماعية للطفل – تأليف: محمد عباس نور الدين.ص: **49** بتصرف.

[28] انظر ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة – تأليف: مصطفى حجازي – الصفحة:**258** مع التصرف.

ينصح علماء النفس والتربية بأن يشجع الطفل على الكلام والتعليق وهو يشاهد برامج الشاشة؛ فيعقب على ما يراه ويسمعه ويعبِّر عن انفعالاته بالأحداث وينتقد ويفكر ويحلل– يساعده في ذلك وينشطه أبواه أو أحد من أفراد أسرته...وبذلك يخفِّفُ من تأثير الخطاب التلفزيوني.

وأذهب –إلى– أبعد من ذلك لأفْرِضُ على الأبوين أن لا يتركا طفلهما يتيه في فيافي برامجهِ وقنواتِه (المتاهات الخطيرة) كيلاَ يضيعَ منهما حبيبهما وفلذة كبدهما، فأُلْزِمُهُمَا بصحبته خطوة خطوة حتى يتمكن ويستقل، فيدلانه على غثِّه ليتجنبه وسمينه ليرتع فيه. وعلى الأسرة؛ كذلك؛ أن تلقحه باللقاح المضاد للأمراض المعروضة في الشاشة– وما أكثرها...

ولا أرى أن يُتْرَك وَحيداً أمام الشاشة مشدوهاً، إذ إني أخشى عليه، فبيْنَ يديه جهاز التحَكُّمِ في القنوات، فسيشاهد الذي يليق والذي لا يليق، وبمجرد أن يقتحم عليه الأب أو الأمُّ يختار اتجاهاً آخر، وكأن شيئا لم يكن! فوجود الجهاز في البيت يعتَبَر سلطة – ملزمة– شئت أم أبيت، فالواجب عليك عظيم لتخلص طفلك؛ ومن تتولى أمره؛ مما يليق.

(تذهب رابطة علم النفس الأمريكي إلى أن الطفل الأمريكي حين يصل إلى نهاية المرحلة الابتدائية يكون قد شاهد **8000** حالة اغتيال و **10000** اعتداء عنيف على شاشة التلفزيون، بمعدل **3** ساعات مشاهدة يوميا، وإذا كان العنف يفرج عتبة معينة، إلا أنه يؤدي بعدها إلى تراكم الإثارة غير القابلة للاستيعاب مما يقود إلى السلوك العنيف)[29].

---

[29] انظر عالم الفكر المجلد **35** يوليوز – سبتمبر – آفاق المعرفة. عنوان المقال: ثقافة الشباب في مجتمع الإعلام.
د منجد الزيدي ص:**209** نقله عن **I . Ramonet.**

– وهل يساهم الإعلام في بلورة القيم الجميلـة؟؟

– يعتبر الإعلام أحد أهم مصادر التنشئة الاجتماعية والتنمية البشرية والاقتصادية والبيئية...فهو من وسائل الرقي والازدهار بالمفهوم القيمي (الأخلاقي) للكلمتين.

– نجد في الساحة الإعلامية – إجمالاً– ثلاثة أنواع من الإعلام:

إعلام نافع

إعلام ضار

إعلام منافق

– تأثيرات الإعلام المسموع والمقروء والمرئي...كبيرة جدا والساحة شاهدة على ذلك خير شهادة.

– تعدد القنوات الإعلامية واختلاف توجهاتها وإيديولوجياتها يجعل التحكم في القيم أمرا صعبا عسيرا.

– يجب توحيد الرؤى في موضوع القيم لتلتزم بها مختلف القنوات الإعلامية المتنوعة؛ فمن العيب والعار أن يساهم إعلام ما في هدم القيم الجميلة...وقد هدَّم ودمر.

– لا أتصور وجود إعلام محايد؛ فكل أنواع الإعلام تضمر خلفيات وإيديولوجيات وفلسفات توجه المشهد الإعلامي والأحداث والمواقف.

ومن يتحمل المسؤولية إذا فسدت القيم؟؟

– يتحمل الإعلام المسؤولية (السياسات الإعلامية)؛ من جهة؛ لمكانته المهمة في عمليات التنشئة الاجتماعية.

– لا يتحمل المسؤولية لأنه لا يؤثر إلا إذا وجدت في الإنسان قابلية للتأثر؛ كأن تهمل الأسرة واجباتها التربوية.

(هناكَ إجماعٌ بين من درسوا ظواهر الغزوِ الثقافيِّ على اختلافِ أشكاله، وفي مختلف الأقطارِ التي تتعرَّضُ له عربياً أو عالمياً اتفقوا فيه على حقيقة واحدة: أن الغزوَ الثقافيَّ أو تسربَ التغريبِ، أو نجاحَ التنميطِ الثقافيِّ...هو رهينٌ بدرجة القابلية لهُ، فالتنميطُ عمليةٌ مفروضةٌ من الخارجِ لا تنجح بشكل تلقائي، بل لا بد لها من توافرِ شروطٍ داخليةٍ في البلدِ الذي يتعرَّضُ لها، حالها في ذلك تماما حال الغزو العسكري أو التبعية الاقتصادية... تتلخص هذه الشروط في ظاهرة وهن المناعةِ الثقافيةِ على اختلافِ أسبابهَا وأشكالها)[30].

المجاعة الثقافية: عندما لا تلبي الثقافة المحلية رغبة الشباب والأطفال – والناس عموما– فإنهم يرتمون في أحضان الثقافات الأجنبية. حالة المجاعة التي يعانونها تدفعهم إلى الأكل منها بنهم وشراهة وإفراط، يؤثون على ذواتهم ويؤثرون على الأجيال الناشئة (المترعرعة) بين أيديهم الناشئة في (أحضانهن)[31].

فلو كانت الثقافة المحلية قوية– بالقيم الجميلة والأخلاق الفاضلة والأسس القويمة والدعامات المتينة القادرة على مواجهة الثقافات الأجنبية الدخيلة والغازية– لما ارتمى الإنسان العربي المسلم في أحضان أجنبية. لهذا فإنا نتحمل مسؤولية تقصيرنا وإهمالنا...

---

[30] (ثقافة الطفل العربي بين لتغريب والأصالة/ مصطفى حجازي ومجموعة من المتخصصين ص:89–90)

[31] أو أحضان الخادمات والمربيات، لأن (ضرورة) عمل المرأة خارج بيتها حَرَم ابنها من حقوق الأمومة والرضاعة الطبيعية والرعاية...

- يؤثر الإعلام في الحالات التالية:
  - من خلال قانون التكرار وسلطة العادة.
  - من خلال وجود فراغ أسري.
  - من خلال القدوة: النماذج المقدمة باعتبارها نخبة وقدوة.

❖ هل أنت من أدخل الشاشة إلى بيتـه؟

❖ هل أنت من انخرط في الشبكة العنكبوتية؟

❖ هل أنت من سمح لأبنائه بالشاهدة والمشاركة؟؟

إذا كنت أنت فإنك تتحمل المسؤولية ولا تقبل منك الشكاية ولا تعقل...

القيم والعنف:

تتنافى القيم الجميلة والعنف بجميل ألوانه وأشكاله.

ما هي أنواع العنف؟

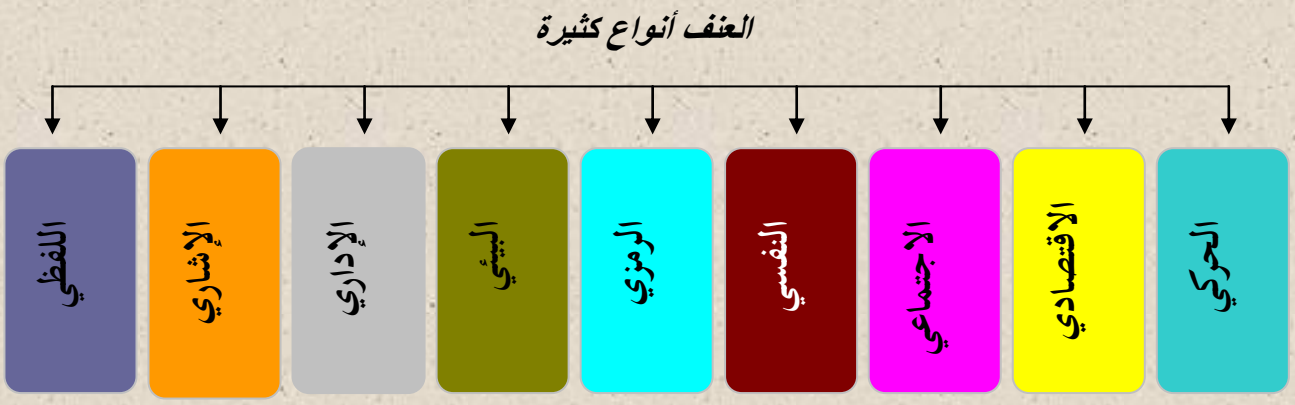

1- العنف الحركي: اللكم والضرب مثلا.
2- العنف الاقتصادي: الفقر مثلا.
3- العنف الاجتماعي: الهشاشة الاجتماعية.
4- العنف النفسي: الإقصاء مثلا.
5- العنف الرمزي: إقصاء العقول.
6- العنف البيئي: الثلوث البيئي مثلا.
7- العنف الإداري: التسلط في التسيير مثلا.
8- العنف الإشاري: من خلال إشارات مشينة قبيحة مثلا.
9- العنف اللفظي: من خلال ألفاظ جارحة مثلا.

إن العنف سلوك مكتسب لا فطري: فيتعلم الإنسان العنف من خلال قنوات التنشئة الاجتماعية، كما لا ننسى أن العنف يتغذى من أنانية الإنسان وحبه المفرط

لذاته ونظرته الأحادية؛ بحيث يظن أن ممارسته للعنف لن تطاله بسوء وأنه بمنأى عنها...وهذا خطل وجهل.

تذهب بعض الدارسات إلى القول بأن السلوك الإجرامي ذو أصول وراثية؛ وهذا غلط...وسبب الغلط اختلاط الإرث الثقافي بالإرث الجيني. فيُزعَم أن الوَارثَ بالثقافة وارثٌ بالفطرة الجينيةِ...

كما تذهب دراسات أخرى في سياق آخر إلى أن الإعلام يساهم بحظه الوافر في الترويج للسلوكات العنيفة من خلال الأفلام والمسلسلات...وفي قولهم جانب من الصحة كبير...

تأثيرات العنف المشاهَدِ في وسائل الإعلام:

ثمة نظريات تبين علاقة العنف المشاهد بسلوكات المشاهدين – جوابا عن السؤال التالي: (هل يوثر العنف المرئي على المشاهدين؟)

هنالك نظريات في الموضوع:

* نظرية التطهير أو التنفيس:

ادعى أرسطو قديما، بأن الدراما وسيلة هامة للتنفيس عن الهموم وتفجير المخاوف والضغوطات والأحزان... إن التعرض للعنف (من خلال مشاهدته) في وسائل الإعلام يقلّل منه، لأننا نُطهِّر أنفسنا من العنف بواسطة مشاهدته في الوسائل السمعة البصرية كالتلفاز... لأن تلك المشاهدة تمكننا من التخلص من ضغوطاتنا النفسية وأفكارنا السلبية، وبالتالي يقل عنفنا ...

* نظرية التعلم والتقليد:

إن أفضل طريقة لتعليم الأطفال وتلقينهم التصرفات الصحيحة، هي أن تعرض أمامهم التصرف المطلوبة الصحيحة – باعتباره – نموذجا يقلد ويحتدى به. إن

التعرض للعنف بكثرة قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى تقليد العنف وتعلمه. فالأطفال الذين يتعرضون لمشاهد عنيفة – والتي يظهر بها العنف سلوكا صحيحا ومرغوبا فيه – يتعلمون التصرف العنيف، خصوصا عندما يتعلقون بالبطل السينمائي ويعجبون به وبعنفه، فيحاولون تقليده وتقليد تصرفاته، بينما الأطفال الذين يتعرضون لمضامين يكون فيها العنف سلوكا غير مقبول (مرفوض) يتعلمون رفض السلوك العنيف. فالأمر كله متوقف على التعزيز: الإيجابي والسلبي.

* نظرية التحفيز:

فحوى هذه النظرية: أن التعرض لمضامين عنيفة في التلفاز يحفّز ويوقظ مشاعر قد تقود إلى استخدام العنف، فكثرة التعرض للعنف في وسائل الإعلام يدفع المشاهدين إلى ممارسته. إن مشاهدة البرامج العنيفة يزيد من الضغوطات النفسية والشحنات السلبية فيقود إلى العنف – تفجيرا للطاقة المكبوتة.

* نظرية التعزيز:

إن العنف في وسائل الإعلام يعزِّز من التصرف العنيف عند بعض المشاهدين العنيفين، لأن هؤلاء يميلون بطبيعتهم إلى العنف. بينما المشاهدون غير العنيفين – بطبعهم– لا يتأثرون بالمشاهد العنيفة. فحسب هذه النظرية، العنف لا ينفجر بعد مشاهدة التلفاز، ولكنه نتيجة للبيئة التي ترعرع فيها المشاهد. فإذا كانت بيئة عنيفة تعزز (الهيجان) لديه السلوك العنيف، أما إذا لم يكن عنيفا بطبيعته فلا يُحدث فيه العنف المشاهد أثراً عنيفا.

***

أقول وبالله التوفيق:

ويتوقف التأثر بالمشاهد العنيفة على القابلية للتأثر...فالمشاهد العنيفة لا تؤدي بالضرورة إلى تكوُّن السلوكات العنيفة، إنما يتحقق ذلك التأثر عند غياب الرقابة – بما

فيها – الأسرية وتوجيهاتها النيرة الكفيلة بكسر إرسال الموجات العنيفة المنبعثة من الشاشات والصفحات الإعلامية...

- شاهدت المسلسلات العنيفة...ولست عنيفا.
- شاهد المسلسلات العنيفة...فهو الآن عنيف.
- لم يشاهد المسلسلات العنيفة...وهو عنيف.

نستنتج إذا:

أن عنف وسائل الإعلام لا يؤدي بالضرورة إلى السلوكات العنيفة.

القيم والمدرسة[32]

حوار ماتع:

– سألت تلميذاً مغربيا في السنة الثانية ثانوي إعدادي: هل نجحت؟

– قال مستخفا: النجاح مضمون.

– قلت مستغربا: كيف ذلك؟

– قال منبسطا: لقد نجحت بمعدل ضعيف جدا؟

– قلت مندهشا: لا يمكن ذلك.

– قال مفتخرا يشير بيديه ملوحا: إذا كنت في المغرب فلا تستغرب... وليكن في علمك أن جميع زملائي من الكسالى والمشاغبين المشاكسين...فازوا بالنجاح...

– وفهمت آنئذ ماذا تعني مدرسة النجاح...وفهمت أن الإحصائيات المقدمة رسميا ليست إلا أرقاما...

– سألت أستاذا: كيف هو حال التعليم عندكم؟

– قال: أما على مستوى الأوراق والإحصائيات والتقارير...فحال التربية والتعليم جيدان. أما على مستوى الأرض والميدان...فحالتهما يرثى لها...

– قلت: لم أفهم...

– قال: كلامي مفهوم...

– قلت: نسمع بالمخطط الاستعجالي...برنامج جيني...وبيداغوجية الكفايات والوضعيات والإدماج...كما زودت المؤسسات بالحواسيب والتكنولوجيات الحديثة...

– قال: دعني من هذا الكلام فقد سئمته...

ثم تركني ومضى يلوك في فمه كلاما...

---

[32] ترسيخا للقيم العملية والمهارية والسلوكية أرى من المفيد؛ فائدة عظمى؛ أن تخصص الحصص الصباحية في المدارس للدروس النظرية والتقعيدات وبيان المبادئ والمناهج والأصول، وتكون المسائية عملية تطبيقية؛ بالدرجة الأولى؛ تنفيذا وتجريبا للمعطيات النظرية المعطاة في الحصص الصباحية. وهذا في التخصصات الأدبية والعلمية وغيرهما من التخصصات.إن علاقة الإنسان بالبيئة هي التي تكسبه الخبرة والتجربة والمعارف.

– وهل تساهم المدرسة في ترسيخ القيم الجميـــلة؟!

– من أين يبدأ الإصلاح، هل من الأسرة أو مـن المدرسـة؟

– وهل أصبحت مدارسنا إصلاحيات أو كالإصلاحيات أو هي محميات؟...

– وما جدوى المدرسة إذا لم يساهم في بناء الإنسان الصالح؟ القادر على الانخراط في المجتمع انخراط فعالية ومشاركة؟؟

– وهل تنتج المدرسة أفواجا من العاطلين والعاطلات؟

– بماذا أفادتني المدرسة؟: بالعلم...بالعمل...بالمال...بالتقوى...غسلت دماغي أو شلت حركتي...أو ورثت منها العجز والكسل والجمود وكثرة الكلام...

يمكن للمدرسة أن تساهم بحظ وافر في ترسيخ القيم الإيجابية الجميلة وتأكيدها وتعزيزها من خلال المناهج والمقررات...

– تتحقق التربية على القيم الجميلة من خلال طريقتين:

- الأسلوب المباشر: المقررات مثلا.
- الأسلوب غير المباشر: القدوة الصالحة مثلا.

تتأثر المنظومة القيمية داخل المدرسة بالتوجهات والإيديولوجيات العامة والكبرى. واختلال منظومة القيم يؤثر بشكل مباشر داخل أسوار المدرسة وخارجها.

يمكن اعتبار المدرسة مصفاةً للسلوكات والتصورات:

- تشخيص القيم.
- تقويم القيم.
- تصحيح القيم.
- معالجة القيم.
- الوقاية من الأمراض التي تصيب القيم.
- إذا فسدت هذه المصفاة تلوثت القيم بملوثات فيتسرب الخطر إلى الأسرة والمجتمع...

جرثومة الكسل:

وأية علاقة تجمع بين الأسرة والمدرسة؟

إننا نسجل بمرارة وأسف أحداث التراشق بالاتهامات بين المدرسة والأسرة[33]. تقول الأولى أنت سبب الفتن ما ظهر منها وما بطن، وتقول الثانية أنت أصل المشكلات والمنكرات ما خفي منها وما جلي.

الأزمة واقعة والأحداث ساخنة والمشاهدون كثر... لا ينكر ذلك إلا متجاهل أو خائف أن يتهم فيحاسب على الإهمال والتفريط في أمر لا يليق فيه التفريطُ شرعاً وعقلاً وعادةً وأخلاقاً.

وصورة الواقع غير خافية وأخص بالذكر الذي يعيش في الفصل مدرسا أو في الإدارة مديرا أو مشرفا أو من يجاور أسوار المدرسة فيتعرف على الحقائق من خلال ما يرى ويسمع...

ومن الطبيعة الفاسدة في صفوف المسؤولين – غفر الله لنا ولهم – أنهم يروجون لمقولة:

" كل شيء على ما يرام"[34]. ويتهمون من يقول الحقيقة أو بعضها بالمتشائم والعدمي.

ولا يضرنا أن نوصف بالمتشائمين إذا كنا نقول الحقيقة أو أجزاء من الحقيقة أو على الأقل ما نظنه – عن حسن– نية حقيقةً[35].

---

[33]: هل الإصلاح يبدأ من الأسرة أو من المدرسة؟ ستعرف الإجابة في المقال.

[34]: يقولون ذلك وفقا لمقتضيات فن الكذب (السياسة)، ليلا يثيروا الفتنة...ومن (الطبيعي!) أن يدافعوا ويموهوا حتى يبعدوا (التهمة) عنهم...

[35]: أما الحقيقة المطلقة فعلمها عند الله.

أما (المخططون) و(المبرمجون) و(المسؤولون)[36] فيغنون ويشذون خارج السرب. يملؤون الوثائق والتقارير ويحرصون على ذلك كل الحرص. وأغلب التقارير لا تعكس الواقع المشاهد...

وفي الذي يلي ستعرفون؛ إن شاء الله؛ بعضا من الإشكال وأبعاضا من الحل، فما كان من كلامي صوابا فمن الله وبفضله وما كان خطأ فمن نفسي ومن الشيطان:

***

((الكسل في الصفوف المدرسية – وغيرها– مرتبط بجرثومة معنوية؛ وقد تكون لها أبعاد ومظاهر مادية[37]؛ وهي جرثومة الكسل والإهمال. فإذا دبت الجرثومة في ذات التلميذ أو الطالب؛ ولو كدبيب النمل والحلزون؛ حالت دون اجتهاده وتحصيله وقادته إلى الإهمال والتهاون قيادة.

إن جرثومة الكسل والإهمال معدية – قد – تنتشر في صفوف التلاميذ انتشار النار في الهشيم، وقد وقع ذلك فعلاً. وتؤثر؛ بالأثر البالغ؛ في عقل التلميذ ونفسه وقلبه... فتغير اهتماماته وتمثلاته وخلفياته وأولوياته.

تعاني مدارسنا اليوم من آفة جراثيم الكسل– الكسل وما أدراك ما الكسل؟ – هذه الجراثيم التي غفل عنها الباحثون والدارسون في المجالات التربوية والاجتماعية والنفسية – ممن شربوا من كأس الثقافة العلمانية؛ واتجهوا يطبلون ويزمرون ويدندنون كالسكارى في أمور أخرَ لا ترتبط بالمسألة إلا ارتباطا جزئيا.

---

[36]: فربما لا يستحقون هذا الوصف ولا ينطبق عليهم.

[37]: هناك ترابط بين المادة والمعنى. فبعضهما يؤثر في الآخر. والفصل بينهما تربوي للتعليم والتسهيل.

واتجهوا تائهين باحثين؛ بحث حاطب في ليل حالك ظلامه كليل تهامة؛ عن أمور أخرَ لا ترتبط بالمشكلة إلا ارتباطاً جزئيا شكليا فرعيا، فعادوا بالأفاعي والعقارب يحملونها على ظهورهم يظنونها علاجا للداء فكانت داءً.

ليس المشكل في المدرسة ذاتها ولا في المناهج الدراسية...إنما المشكل أصل الداء والإشكال في جرثومة الكسل والإهمال والضلال. فإذا استطعنا أن نقضي عليها أو أن نخفف من حدتها وانتشارها تمكنا فترتئذ من إرجاع الناشئة والكسالى – من الضالين – إلى جادة الصواب وطريق الرشاد.

ومن مظاهر جرثومة الكسل[38]:

1- تلامذة لا رغبة لهم في الدراسة، يحضرون بأجسادهم رغما عن أنفسهم.
2- تلامذة كسالى – دون المستوى المطلوب– استفادوا من النجاح المجاني.

وَقَد تَكُونُ للجرثومة جوانب وراثية تتكون عبر المسالك الثقافية[39] وهذه آفة خطيرة. فأول خطوة لإصلاح المدارس هي تشخيص الجرثومة التشخيص المناسب وفهم طبيعتها وخصائصها الفهم الملائم ثم التصدي لها بالوسائل المناسبة والأسلحة الفعالة الفتاكة.

---

[38]: نماذج لتلامذة المدارس:– تلميذ لا يهتم بواجباته – تلميذ لا ينتبه للدرس– تلميذ فقد الرغبة في الدراسة– تلميذ كثير الكلام في الفصل – تلميذ لا يحترم زملاءه – تلميذ يغش في الامتحان– تلميذ مشاكس معاند – تلميذ غير مؤهل علميا – تلميذ كثير الغياب والتأخر– تلميذ لا يلتزم مقعده في الفصل– تلميذ يحمل هاتفا نقالاً يستعمله في الفصل – تلميذ يأكل/ يشرب في الفصل– تلميذ يلبس نظارات الزينة داخل الحجرة وفي الساحة– تلميذ لا يرتدي لباسا محترما– تلميذ يكسر ويتلف – تلميذ يضرب أستاذه أو يشتمه – تلميذ تغني داخل الفصل – تلميذ سكران أو مهلوس – تلميذ يحمل أداة حادة– تلميذ لا يحضر دفاتره ومقرراته...ولائحة المعاناة طويلة.

[39]: تورث الثقافة كما يورث لون العينين والشعر...

جُرْثُومَةُ الكسلِ تَقْتلُ في التلميذ الرغبة[40] في الدراسة والبحث والمشاركة الفعالة المنتجة وتبعده عن جادة الصواب.

فمهما غُيِّرَت المقررات والمناهج والبرامج ومعايير التقويم والتقييم وأساليب التدريس والبحث والتفكير...فلن يجدي ذلك نفعا ما لم نهتم بالأمراض المنتشرة في صفوفِ التلاميذ بالمدارس.

وأصل المرض آتٍ من خارج أسوار المدرسة – فلقد تخلت الأسرةُ عن وظائفها التربوية والأخلاقية، وانهزمت انهزاما خطيراً وعجزتْ عجزاً شديدا، ففقدت السيطرة واختل توازنها، ووصل الأمر بكثير منهم إلى إعلان الاستسلام...وبذلك يصرح كثير من الآباء والأمهات ممن أقابلهم.

ويُخطئ من يَرى أن المدارسَ كالمستشفيات يمكن أن تعالج فيها الأمراض والأوبئة ومختلف العاهات... فمدارسنا غير مؤهلة لذلك، فإنها لم توفر للعاملين بها ما يحتاجونه من عتاد (ديداكتيكي) ووسائل ومساعدات، فأسوار مدارسنا؛ رضي الله عنها؛ مهدمة ونوافذها مهشمة والعاملون بها محبطون...ثم إن العاملين بالمؤسسات التربوية من أساتذة وإداريين...ليسوا أطباء ولا كالأطباء، فما تلقوه في المراكز التكوينية لا يؤهلهم لذلك ولا لأقل منه...وأخشى أن تنتشر العدوى من التلاميذ إلى مدرسيهم فيزداد الوضع سوء لسوء.

والجديرُ بالذِّكر أن عمليات التشخيص والعلاجِ تحتاج إلى وقت وجهد وظروف خاصة...لم تتوافر بعد في مدارسنا. ولا يفوتنا أن نقول إن التشخيص من أصعب مراحل التطبيب.

---

[40]: الرغبة أصل كل نجاح، والرغبة قابلية داخلية ذات أبعاد ثقافية.

– وكلما تقادمت جرثومة الكسل في الجسم عسر التغلب عليها. فتستطيع اقتلاع الجبال من مواضعها ولا تستطيع اقتلاع العادات المترسبة.

– يمكن للأستاذ أن يساهم في تثبيت المرض، كما يمكن أن يخفف من وطأته؛ على نحو جزئي لا كلي.

– مفتاح المشكل بين يدي أسرة المريض وليس مفتاحا نهائيا؛ لأن هناك عوامل خارجية تعرقل أو تشوش على عمليات الإصلاح والعلاج، كوسائل الإعلام والاتصال والجيران والمجتمع والأفكار السائدة والنماذج المروَّج لها ونوع القيم وطبيعة الأنظمة السياسية وأنواع الطموحات...كل ذلك يؤثر. وقد يقل تأثيره وقد يقوى:

- أ: يقل تأثيره إذا كانت البرمجة الأسرية التي تعرض لها الطفل قوية وفعالة.
- ب: يقوى تأثيره إذا كانت البرمجة التي تعرض لها الطفل هشة غير فعالة.

فيجبُ عَلَى أولياء الأمور والأسر[41] تأهيل أبنائها لطلب العلم والتمدرس والتحصيل المفيد النافع في الدارين والتفاعل الإيجابي مع المدرسة ومحيطها تفاعلا مثمرا. أما أن يهملوا ويتهاونوا ويحملوا المدرسة والعاملين بها ما يطيقونه وما لا يطيقونه فهذا غير معقول ولا يتفق مع المنقول. فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعية، والرعاية درجات ومراتب. والأسرة أولى بالرعاية من المدرسة.

لا يمكن للمدرسة أن تصنع الرغبة في صفوف من فقدوها؛ وجاءوا من بيوتهم إليها أصفاراً أو كالحمر تحمل أسفاراً.

وقد ركز المخططون والمبرمجون في مجال المدرسة على المناهج والأساليب والأدوات، فحمَّلوا الإدارة التربوية والأساتذة مسؤولية ما حدث ويحدث وتناسوا عن جهل أو تجاهل الواقع الأسري للطفل، حيث لا تؤهل – جل– الأسر أطفالها ليكونوا

---

[41]: تؤول جودة فكر التلميذ وانضباطه واتزانه في الأغلب الأعم إلى والديه والمحيط المحيط بتشكل فكره ووجدانه.

تلامذة (متعلمين) من سوء التربية التي تلقوها أو يتلقونها في محيطهم الأسري والاجتماعي والعالمي بصور مباشرة وغير مباشرة.

يمكن القول إن الأسر مغلوب على أمرها من جهة وتتحمل المسؤولية من نواح أخرَ:

* مغلوب على أمرها: لأن ابنها يتعرض لتأثيرات قوية وحملات عنيفة توثر فيه أبلغ الأثر؛ بل يهاجم في عقر الدار بأدوات الإعلام ووسائله المختلفة المبنية على أفكار صهيونية تدميرية. فالتنافر بين وسائل الإعلام والمدرسة وقيمها الأسرة ومبادئها أوضح من الشمس في يوم مشمس[42].

* وتتحمل المسؤولية: لأنهُ أبٌ أو لأنها أم. فيجب أن يحصن ابنه من كل الآفات والشرور ويلقحه بالمضادات الحيوية الفعالة المؤهلة لصنع الفرد الصالح. وقد جرت العادة أننا نلوم الراعي؛ إذا ضاعت منه شاة من الشياه؛ ولا نلوم الذئب.

أحِبُّ أنْ أخْتِم بهذه الكلمات المركزات أوضح بهن المشكلات لتنبثق عنهما سؤالات فتسهل الجوابات:

- يوجد محرك المدرسة خارج أسوارها.
- الأخْلاقُ والقيم الجميلة أساسُ التَّمدرسِ.
- تتحمل الأسر عبءاً ثقيلا وتتحمل مسؤولية أبنائها.

---

[42]: لا يمكن بحال من الأحوال تجاهل السلطة الخارجية التي يسلطها المحيط الثقافي والفيزيائي على الأفراد والمجتمعات من خلال قنوات متعددة... أما مسألة القابلية الذاتية للتأثر والاستجابة والقدرة على المواجهة؛ اعتمادا على قوة الذات؛ فلا محل لها عندما تحيط بك السلط من كل حدب وصوب فتقهرك قهرا وتسكنك على نحو عجيب – فيسري ذلك في جسدك سريان الدم في العروق، فيحسب المرء نفسه حرا وهو ليس كذلك.

– وسائل التنشئة الاجتماعية لا تتوافق والمناهج المدرسية – الإعلام في عالم والمدرسة في عالم آخر.

– الأسرة أولا وثانيا وثالثا... والمدرسة أخيرا.

– نسجل بمرارة الإهمال الذي طال ظله الأسر. فكل إصلاح لم ينطلق من الأسرة لن يبوء إلا بالفشل.

– إذا لمْ نربط التعليم والتحصيل بقيم ثابتة غير القيم المادية[43] فلن يتحقق المطلوب. قد يتحقق بعض المطلوب على غير دوام. أما إذا أردت الدوام فاربط التعليم بما لا يتغير مع تغير الزمن. وهذا من واجبات الأسرة والمجتمع والإعلام...

– لقد أفرغتِ المقرراتُ والمناهجُ الدراسيةُ من مضامينها العلمية والعملية...

– وقس على جرثومة الكسل غيرها من الجراثيم المنتشرة في جسم الطفل والأمة... كجراثيم الإحباط والتهاون والشَّغب[44] وسوء الأدب[45] وانعدام الرغبة وضعف الطموح[46]...

---

[43]: فإذا تحقق شرط المادة غابت الغاية من طلب العلم والدراسة. ما معنى ذلك؟ معناه أننا إذا قلنا للناس: من حصل العلم والمعرفة في تخصص معين بشروط معينة حصل على وظيفة وعمل يوفر له دخلا محترما تهافتوا متطايرين على المعرفة والتحصيل، أما إذا توفر له المال من خلال التجارة أو الصناعة أو حرفة ما فلن يحصل العلم، لأن ما من أجله يتعلم الناس ويدرسون (وهو تحصيل الوظيفة= المال) توافر لديه بوسائل أخرى. فليست له حاجة تدفعه للعلم والتمدرس.

أما إذا ربطنا العلم وطلب المعرفة بأمر ثابت مثالي لا يتغير ولا يتحقق بالكلية فستكون النتائج آنئذ إيجابية ودائمة. وأفضل وأمثل مسألة يجب أن نربط بها طلب العلم والمعرفة هي نيل الأجر والثواب والفوز بالجنان. فطلب العلم واجب وجوبا عينيا في حدود وكفائيا في أخرى، كما أن طلبه – بمواصفات– من العبادات. وبهذا نكون قد حققنا هدفين دفعة واحد: التعبد بطلب العلم + الفوائد المادية وغيرها.

[44]: من أسباب ظاهرة الشغب في المدارس: – ضعف سلطة المؤسسات التربوية وغياب وسائل الردع المناسبة، وهذا هو السبب الرئيس– ثم التربية الأسرية – وسائل الإعلام المروجة للعنف والصراع – التربية أسرية...

[45]: السبب الرئيس لسوء الأدب هو التربية الأسرية أولا وغياب وسائل وأساليب الردع ثانيا.

لعلي أوفق في تكثيف مقالي في قولي:

إذا صلحت الأسرة[47] صلحت المدرسة والحياة وإذا فسدت فسدت. وصلاح الأسرة متوقف على صلاح النسق الاجتماعي والثقافي، وذلك كله يتوقف على الإرادة السياسية الحقيقية الراغبة حقا وصدقا في إنتاج الإنسان الصالح. فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن[48].))

---

[46]: وسببهما الرئيس غياب التحفيز المناسب أو غموض في الأهداف.

[47]: من أين يبدأ التغيير من الأسرة أو من المدرسة؟

مدارسنا اليوم في وضعها الحالي غير مؤهلة لتستقبل قافلة التغيير لتكون نقطة انطلاقها. أما إذا أهلت بالأدوات والوسائل والأفكار النيرة القابلة للتطبيق والناشئة في حضن الثقافة المحلية أو المستوردة مع شرط التكييف لتكون صالحة، فيمكن آنئذ أن تكون صالحة لاستضافة قافلة التغيير. ولا يغنينا ذلك عن الأسرة، فمكانتها مهمة وفاعليتها عظيمة والاستغناء عنها محبط للعمل.

ولا تكفي المدرسة مفردةً لتكون عنصر تغيير شامل، بل يجب أن تعضدها وتساندها وسائل الإعلام والاتصال بنية (سياسية) قوية، فتسحضر في مشاريع الإصلاح والتغيير في المخططات الإستراتيجية العامة والخاصة حضورا قويا فعالا فيذيع أمر الإصلاح كما تذاع بعض الأمور التي أرادوها أن تذاع لتنتشر بين الناس صغيرهم وكبيرهم...

وقانون التكرار مفيد في الإبلاغ: من خلال وسائل الإعلام المختلفة وعبر القنوات التواصلية...

أما عنصر التعزيز المادي والمعنوي الإيجابي والسلبي فضروري لنجاح التغيير والإصلاح.

[48]: أما من ينتظر التغيير التلقائي من غير ترغيب ولا ترهيب ولا سلطة ولا صرامة فدعه ينتظر... إن القانون الرئيس المفعل للتغيير هو: الصرامة (السلطة الردعية) في تطبيق ما كان فيه صلاح الناس.

الأمية الحقيقية

الأمنية

– أمنيتهم أن تصل نسبة الأميين إلى 00%

– جدتي أمية: ولا تسرق ولا تكذب ولا تخون الأمانة...

– فلان حاصل على شهادة عليا في الأدب...وأخلاقه فاسدة.

– فلان حاصل على شهادة عليا في الاقتصاد...وهو من أعظم المبذرين الذين رأتهم عيني...أضف إلى ذلك أنه لصٌّ خائن للأمانات...

– وعن أية أمية يتحدثون؟! هل يجب أن نعيد النظر في مصطلح الأمية؟؟؟

ما الفرق بين المتعلمين وغيرهم؟

لسنا نجد فرقا شاسعا بين خريجي المدارس وغيرهم – من غير المتعلمين – إلا إذا استثنينا كلمات يعربون من خلالها أنهم من زمرة المتعلمين... كأن يلفظ لفظا عربيا فصيحا – يتشدق به! أو جملة مفرنسة تتخللها ألفاظ عربية (العرنسية) أو عبارات إنجليزية أو إسبانية... أو يُظهرَ شيئا من محفوظه التَّليد نثرا أو شعرا...فأخلاقهم سواء وسلوكاتهم سواء وطموحاتهم كذلك... بل وكذا تصوراتهم للحياة والناس؛ إذ النظرة المادية المصلحية طاغية...فما قيمة المدرسة والتربية والتعليم؟؟؟....

ليستِ الأميةُ الحقيقية أمية كتابة أو قراءة أو إعلاميات أو حساب...إنها هي أمية الأخلاق / القيم الجميلة، فصاحب الخلق الفاسد أمي ولو أتقن القراءة والكتابة والحساب والمعلومات...أو نال شواهد عليا في أدق التخصصات. فلا قيمة للحساب والكتابة والقراءة والمعلوميات وكل المكتسبات... لا قيمة لها بدون خلق جميل وقيم فاضلة توجه العقل البشري إلى الصلاح والإصلاح...

إن أزمات المجتمع الحداثي وما بعد الحداثي متعددة وكثيرة يمكن رصدها في أزمة الأخلاق والقيم الجميلة. وعن هذه الأزمة تفرعت الأزمات...

اعلم أنه إذا تصدر الأميون التسيير وتحكموا في زمام الأمور فتلك هي الطامة الكبرى والمصيبة العظمى والجريمة الجرماء. سيفسدون الحرث والنسل ويعتون في الكون فساداً...

إنما يعاني العالم اليوم من شرِّ الأميين المتسترين وراء العلم والفهم والتكنولوجيات والشهادات...يفسدون باسم الإصلاح؛ عن قصد وغيره...تجدهم من دعاة التجديد والتحديث والحداثة نابذون للقديم؛ ولو كان شرعا ربانيا...

فعلهم وقصدهم منصرف لنسخ التجارب الغربية الأوربية والأمريكية بعجرها وبجرها بجميلها وقبيحها بصالحها وطالحها... من غير مراعاة لأساليب التكييف ومناهج الإنبات...فأسفر ذلك عن مرض نفسي نشأ في أوساط العامة والخاصة هو:

عقدة الغرب/ الآخر الأقوى ماديا وتقنيا...

إذا لم نستوعب فلسفة التجاوز والانطلاق نحو الأفضل والأحسن والأجمل والأصلح؛ وبقينا مرتبطين متعلقين بالآخر وتجاربه وفلسفاته ونظرياته... فلن نراوح مكاننا والتأخر سيكون لا شك مآلنا...

- لن نتطور إذا لم نهجر كراسي المقاهي...
- لن نتطور إذا لم يعد تعليمنا إلى الطريق المستقيم...
- لن نتطور إذا لم تفصح تقاريرنا عن الوقائع والأحداث الحقيقية...
- لن نتطور إذا لم نجعل الإعلام خادما للأفكار لا للتوجهات...
- لن نتطور إذا لم نتخل عن أسلوب التفاخر بالإنجازات والبطولات...
- لن نطور إذا لم ننتقد تجاربنا...

الأمية الروحية وما أدراك ما الأمية الروحية: فالتعلق بالمادة والمصلحة العاجلة صنف من الأمية الروحية. فلا يشبه الإنسان الآلات والمحركات الميكانيكية أو الإلكترونية...الإنسان جسد وروح وتحقيق التوازن بينهما مطلوب طلبا ملحا. ومسألة الروح لا تحتاج برهانا لوضوحها وتداولها على ألسن السراة والعامة.

ويعتبر الإسلام غذاء للجسد والروح:

- غذاء للروح: لأنه عقيدة.
- غذاء للجسد: لأنه شريعة.

فقد كرُبَتْ ساعة انفجار الأزمة الروحية، وأماراتها الكبرى التعلق بالمادة والمصلحة العاجلة والبعد عن الآخرة...فاللهم أجرنا من شر آتٍ...

إشكالية العقلية المكتبية:

الذي يروج بين الناس أن الهدف الرئيس من المدرسة هو الحصول على عمل/ وظيفة لا أقل ولا أكثر. فالمدرسة من أجل التنوير أو طلب العلم أو محو الأمية لا معنى لها ولا قيمة. فهذه الأهداف تبعية، بل في بعض الأحيان مقصية من الاعتبار. فلو أن المدارس غلقت أبوابها ما فكر جلهم في طلب الدرس إلا من حيث هو سبيل إلى طلب العمل (الوظيفة). لقد ارتبطت المدرسة بالفكر الاقتصادي ارتباطا قوياً، وإن اعتورك شك فاعترض سبيل تلميذ أو طالب واسأله السؤال التالي: لماذا تدرس؟؟

قد يجيبك على النحو التالي: أدرس لطلب العلم...

ثم اسأله: ولماذا طلب العلم...

سيجيبك: لأحرز عملا / وظيفة/ كأن يتخرج طبيبا أو مهندسا...

فهل هذا تفكير سليم أو منطق لئيم؟

القيم والقانون

" يجب أن نسن وزيدا من القوانين
لتحقيق مزيد من العدالة...وهل القوانين غير كافية؟؟..."

وهل تطبق القيم الجميل عن طيب خاطر؟

– تطبيق القيم يتطلب تتبعا ومراقبة خارجية، والزجر ضروري لردع المخالفين المفسدين.

إن الرقابة الذاتية مطلوبة لكنها لا تكفي ولا يعول عليها دائما[49]...

نقول: يجب تربية الناس على المراقبة الذاتية وأن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا وأن يحرصوا على الفعل الجميل...ومع ذلك يجب الاحتفاظ بالسلطة الزجرية للضرب على يد المخالفين أو المعاندين أو متبعي أهواءهم وشهواتهم...

يقتضي تطبيق القيم ما يلي:

معاقبة	تحفيز	الرقابة الذاتية

لا يميل الإنسان بالفطرة إلى تطبيق القانون والالتزام المبادئ...

---

[49] الرقابة: "متابعةُ تنفيذ العمليات الإدارية والمنفذين لها، وتقويم عملهم أولاً بأول؛ للوصول إلى الهدف المرسوم على أفضلِ وجه، وأقصر وقت، وأكبر دِقَّة، وأقل خطأ وتكلفة. (عبدالرحمن الضحيان، "الرقابة الإدراية: المنظور الإسلامي المعاصر، والتجربة السعودية"، ص21).

أو هي "وظيفة إدارية، وأنَّها مثلُ وظائف الإدارة الأخرى: عملية مستمرة متجددة، يتم بمقتضاها التحقُّق من أنَّ الأداء يتمُّ على النَّحو الذي حددته الأهدافُ والمعايير الموضوعة، وذلك بقياس درجة نَجاح الإدارة الفِعْلي في تَحقيق الأهداف والمعايير بغرض التقويم والتصحيح". (سعود بن محمد النمر وآخرون، "الإدارة العامة: الأسس والوظائف"، مرجع سابق ص295).

ويمكن تنويع الرقابة إلى:

أولاً: الرقابة الربَّانية الإلهية.

ثانيًا: الرقابة الرئاسية؛ التي يمارسها الرئيس والمسؤول.

ثالثًا: الرقابة الذاتية.

رابعًا: رقابة الحسبة.

فالرقابة والتحفيز بنوعيه ضروريان، ولا تقل التربية على المراقبة الذاتية أهمية فهي لبنة أساس للتطبيق والالتزام.

- قوة التربية عظيمة ومكانتها مهمة لترسيخ القيم وبناء السلوكات الجميلة.

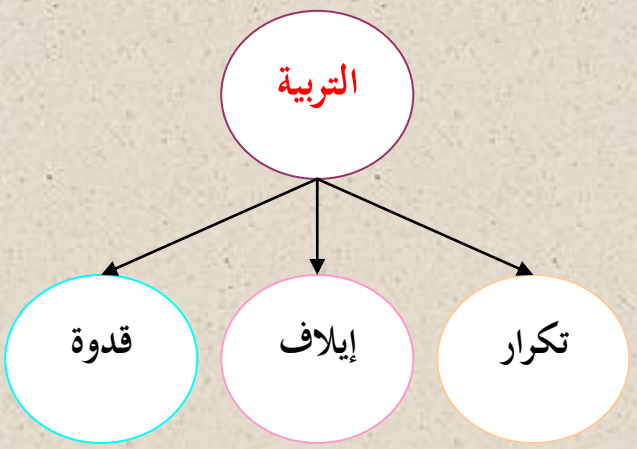

فإذا ترعرعت القيم الجمالية مع الأجيال ترسخت في النفوس واحتلت مكاناً في العقول واندمجت في الكيانات ثم في المجتمع فتصير عادات وتقاليد وجزء لا يتجزأ من لحمة المجتمع.

قال الدكتور عبد الكريم بكار:

(إن من المهم أن ندرك أن العقوبات والقوانين الصارمة والقيود الثقيلة على حركة الناس ستكون قليلة النفع وضعيفة الفاعلية حين يتآكل السند الأخلاقي لها، والذي يتمثل في إيمان الناس بالفضائل وحماستهم لها، واستعدادهم لشيء من التضحية من أجلها.

إن القوانين تنهار حين ينهار الإجماع الأخلاقي لدى المجتمع، وإن التوسع في العقوبات لا يقضي على الرذائل، لكنه يساعد على تحويلها إلى شيء مخفي، وبهذا

ترتاح ضمائر كثير من الناس؛ لأنهم لا يرون المنكرات على نحو ظاهر، لكن الأدواء الخلقية الفتّاكة تستمر في عملها ليتحول المجتمع إلى هيكل مجوف من الفضائل فيكون أشبه بالأشجار القائمة على سوقها، وإن كان الموت قد أجهز على كل إمكانيات الحياة فيها..)[50]

[50] مقال – التجديد الأخلاقي– من موقع المختار الإسلامي.

القيم والحداثة وما بعدها والعولمة وما بعدها

تعريف الحداثة وما بعدها والعولمة:

قالوا في تعريف– الحداثة: الحداثة مشروعٌ فكري تقدّمي يفسر الكون تفسيرا علمياً، متجرّد عن سلطة الماضي وكل أشكال السلطة، وأساس الحداثة الفصل بين الدين والدولة، فالدين في نظر الحداثيين تراث قديم لا يليق بعصر متطور...

نفهم من التعريف ما يلي:

- أن الحداثة فكرة ونظرية تشمل كافة مجالات الحياة.
- تقوم فكرة الحداثة على العقل والعقلانية.
- الحداثة انفصال عن القديم، بل هي ثورة على كل قديم.
- إنها الحرية المطلقة التي لا يقف في طريقها ضابط.

ما بعد الحداثة:

قالوا في تعريف – ما بعد الحداثة: منهج فكري ينظر للإنسان على أنه جزء من الطبيعة يتأثر بمحيطه الاجتماعي والثقافي، وتعتبر العقل متحيّزا، فلا تعترف بالموضوعية ولا بالحرية المطلقة، وتدعو لكسر حاجز النخبة؛ الذي قيد به الخطاب الحداثي كما ألغت الثابت والمتحوّل والعقلانية وألغت الثنائيات الضدية في الفكر الحداثي: ك(المهم / غير المهم) (الأصل / الفرع) (الثابت / المتحوّل) . وآمنت بالفوضى والتشتت وعدم الهدفية وعدم وجود الحرية؛ لأن الإنسان محكوم ببيئة وثقافة يعيش فيها تتسلط عليه وتسيره، واعتبرت الإنسان ترساً في آلة اجتماعية. وهي بهذا جاءت تنسف بناء الحداثة لتضع بناء آخر مكانه.

تعرف العولمة:

- نسبة إلى العالم.
- تعتبر كلمة العولمة مصطلحا حديثا في الأدبيات السياسية والاقتصادية والثقافية.
- اصطباغ الكوكب بصيغة واحدة، تشمل جميع الأقوام والشعوب.

– توحيد الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية من غير اعتبار لاختلاف الأديان والثقافات والجنسيات والأعراق.

– العولمة مفهوم شمولي يذهب عميقا في جميع الاتجاهات لتوصيف حركة التغيير المتواصلة .

– يطغى على مصطلح العولمة الجانب الاقتصادي.

– تعني: تعميم نموذج الحضارة الغربية – خاصة الأمريكية – وأنماطها الفكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية على العالم كله.

– سيرورة تسعى لجعل العالم قرية كونية.

– ميل إلى توحيد الوعي وتوحيد القيم وتوحيد طرائق السلوك وأنماط الإنتاج والاستهلاك أي الى قيام مجتمع أنساني واحد.....

وهنالك عوامل أدت إلى ظهور العولمة؛ منها:

1– تحرير التجارة الدولية.

2– تدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة.

3– الثورة المعرفية.

4– تعاظم دور الشركات متعددة الجنسيات.

مع منظر الحداثيين العرب:

يقول أدونيس منظر الحداثيين العرب في كتابه (الثابت والمتحول)[51]: "ومبدأ الحداثة هو الصراع بين النظام القائم على السلفية، والرغبة العاملة لتغيير هذا النظام، وقد تأسس هذا الصراع في أثناء العهدين الأموي والعباسي، حيث نرى تيارين للحداثة : الأول سياسي فكري، يتمثل من جهة في الحركات الثورية ضد النظام القائم، بدءاً من الخوارج وانتهاءً بثورة الزنج مروراً بالقرامطة، والحركات الثورية المتطرفة، ويتمثل من جهة ثانية في الاعتزال والعقلانية الإلحادية في الصوفية على الأخص . أما التيار

[51] ج3 صفحة 11.9

الثاني ففني، وهو يهدف إلى الارتباط بالحياة اليومية كما عند أبي نواس، وإلى الخلق لا على مثال خارج التقليد وكل موروث عند أبي تمام، أبطل التيار الفني قياس الشعر والأدب على الذي أبطل . بتعبير آخر . القديم من حيث إنه أصل للمحاكاة أو نموذج .

أخذ الإنسان يمارس هو نفسه عملية خلق العالم . هكذا تولدت الحداثة في تاريخنا من التفاعل والتصادم بين موقفين أو عقليتين في مناخ من تغير الحياة ونشأة ظروف وأوضاع جديدة ، ومن هنا وصف عدد من مؤسسي الحداثة الشعرية بالخروج" .

وهل تحمل الحداثة قيما جميلة؟؟

إذا كانت الحداثة تجاوزا للقديم بجميع أنواعه فلا تنتظر منها أن تحمل قيما جميلة، وانتظر منها أن تشيع الانحراف والانحلال والميوعة والمجون بمختلف صوره المادية والمعنوية...وقد وقع الذي نقول...

إني قصدت استعمال مصطلح القديم لأنه مصطلح رئيس في الحقل الحداثي وما بعد الحداثي...

ويقصدون بالقديم مقاصد كثيرة على رأسها الدين الإسلامي. والدين الإسلامي كما هو معلوم مصدر رئيس للقيم؛ شاء من شاء وأبى من أبى. ولما انحرف الناس عن الدين الإسلامي ابتعدوا عن القيم الجميلة وتورطوا في وحل المحظورات فاضطربوا وتعثروا وفسد الكون الحي والجامد...

والواقع شاهد على ما حملته وتحمله الحداثة من قيم جميلة– على جميع المستويات الاجتماعية والفكرية والربوية!!...وما نشاهده اليوم ونشهده قليل من كثير مما نترقبه من فساد عظيم وانحطاط أخلاقي كبير وأهواء مسيطرة، وجهل وأمية ورقّ... كل ذلك في حلة جديدة وأشكال حديثة– أجارنا الله من ذلك كله.

اعلم أن المسلمين أحق أهل الأرض بعولمة قيمهم الجميلة، إذ إن والإسلام منقذ من الضلال بلا ريب ولا شك...

يجب أن لا نخلط بين سلوكات أغلب المسلمين اليوم وحقيقة الإسلام وجوهره. فكثير من أفعال وسلوكات ومشاعر المسلمين لا تمثل الإسلام، والإسلام بريء منها براءة إبراهيم عليه السلام من أبيه وقومه.

ملامح العولمة والفكر الحداثي وما بعد الحداثي:

1- مواجهة التراث الإسلامي[52].
2- اعتبار التاريخ الإسلامي تاريخا دمويا وغير حضاري.
3- استبعاد الوحي باعتباره مصدرا للمعرفة والعلم أو تهميشه.
4- خلخلة القيم الخلقية الراسخة في المجتمع الإسلامي.
5- رفع مصطلح الحداثة شعاراً لفلسفية اصطلاحية بديلة عن شعار التوحيد.
6- استبعاد مقولة الغزو الفكري من ميادين الفكر والثقافة واستبدالها بمقولة حوار الحضارات.
7- وصم الإسلام بالأصولية والتطرف والإرهاب...
8- تمييع قضية الحل والحرمة في المعاملات والأخلاق والفكر والسياسة.
9- اعتبار العولمة القدر المحتوم الذي لا مفر منه ولا خلاص إلا به.
10- الاستهزاء والسخرية والتشكيك في وجه أي محاولة لأسلمة الحياة المعاصرة – المختلفة: في الاقتصاد والإعلام والقوانين...
11- الترويج للمظاهر الاجتماعية الغربية و للنظريات العلمانية[53].

---

[52] هناك فرق بين التراث الإسلامي والشريعة الإسلامية. فالتراث يشمل الاجتهادات البشرية والإبداعات والإنجازات... المحتملة للصحة والخطأ؛ أما الشريعة الإسلامية فنصوص أنزلها الله في القرآن الكريم وأحاديث جاء بها الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم. وقد يُطْلِقُ بعضهم على الشريعة الإسلامية مصطلح التراث الإسلامية أو الفكر الإسلامي ليلبس النصوص الثابتة لباس التغيير والتجديد المرتبط بالفكر والاجتهادات المحتملة للخطأ والصواب.

[53] تقوم القيم عند العلمانيين على مبدأ الحرية، ولن تجد في القاموس العلماني أثرا للحلال والحرام. فالقيم الصالحة في نظر الفكر العلماني هي كل ما يحقق الإشباع الأساسي والبيولوجي، أما القيم الطالحة فكل ما يعيق

شفقةٌ ورحمة:

أشفق على كثير ممن يستعملون مصطلحي الحداثي وما بعد الحداثي وهم في عمية من أمرهم والران علا على قلوبهم، لا يدركون حقيقة المعاني ولا المقاصد ولا المغازي، يسمعون ويرددون كالببغاوات...يظنون عن جهل أو علم شبيه بالجهل؛ أو قل عين الجهل؛ أنهما يدلان على التقدم والتطور والرقي والازدهار...وبالمناسبة أشفق على كل مستعملٍ لمصطلحٍ لا يدرك معناه وحمولته؛ لا يفقه منه إلا قشوره الظاهرة.

يا قوم: إنهما يرادفان الخلاعة والمجون الإلحاد والشذوذ وتجاوز الفطرة ونكران الأصول والتمسك بالمادة والتعلق بالوسائل بغض النظر عن الغايات...

يمكن للرجل في زمن ما بعد الحداثة أن يتزوج بالرجل أو قرد وكلب...كما يمكن للمرأة أن تتزوج بالمرأة وكلب وأرنب...وهذا ليس بغريب عنا...

ثم إن تحكيم العقل والمنطق في زمن ما بعد الحداثة أمر متجاوز قديم وعديم الجدوى...ولا مجال للحديث عن الإسلام في زمن الحداثة وما بعدها...إنهما الحرية المطلقة – الفوضى المطلقة – والانسلاخ التام الكامل عن الدين والعقيدة والمنطق والعادات صالحة وفاسدة...إن الحداثة وما بعدها تجاوزت مسألة فصل الدين عن الدولة إلى فصل العقل/ الروح عن الجسد فصلاً متوحشاً...

وماذا بعد العولمة؟

أرى والله أعلم أن الشر سينتشر في جل أنحاء الدنيا من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وآنئذ سيدرك الناس مفاسد الشر وأخطاره وسيعودون إلى رشدهم:

سيعود الكبار الأقوياء وسيقلدهم الضعفاء الأذلاء...

عمليات الإشباع. استطاعت العلمانية من خلال وسائل الإعلام المختلفة (الدش والإنترنيت على الخصوص) بثَّ سمومها المميتة معتمدة على الخطاب الغرائزي؛ إذ هو أيسر الطرق لشرخ المنظومة القيمية. ولقد نجحت العلمانية نجاحا باهرا في قطع الصلة بين الروح والجسد.

السريالية نحو المستنقع الكبير

السُّريالية مذهب أدبي فني فكري غير ملتزم بالأديان والقيم الأخلاقية، هدفه التحلل من الواقع والحياة الواعية، والارتباط باللاوعي أو اللاشعور؛ المكبوت في النفس البشرية؛ وامتدت هذه النزعة إلى الكتابة الأدبية.

من ركائز هذه النزعة الضالة إبراز تناقضات الحياة. وتعتمد السريالية اعتماداً كلياً على الأمور البعيدة عن الواقع؛ مهملةً ومتجاوزة للمعتقدات والأديان والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع. كما أنها مروِّج للفوضوية الفنية والاجتماعية.

ويؤمن السرياليون بالثورة لتغيير حياة الناس لتشكيل مجتمع ثوري. وقد شملت ثورتهم الثورة على اللغة التقليدية، وإحداث لغة جديدة.

تأثرت السريالية:

- بآراء عالم النفس اليهودي (فرويد) في تحليله للنفس الإنسانية.
- بالفكر الماركسي الشيوعي ودعوته إلى الثورة لتغيير المجتمع.
- بحركة سبقتها تُدعى (الدادية) التي ولدت في زيورخ بسويسرا سنة **1916**م. وهي حركة فوضوية تكفر بالقيم السائدة والمعتقدات والتقاليد الاجتماعية وتدعو إلى العودة إلى البداية.

أما أفكارُ السريالية ومبادئها فقد تبناها مذهب الحداثة الأدبي الفكري، حيث أصبت جميع جداول السريالية تصب في المستنقع الحداثي الكبير.

قيمة الإبلاغ والتصالح مع الكتابة قصد الإقناع

الكتابة قادرة واللغة مسعفة

يجب أن يكون التواصل بالكتابة قادرا على الإبلاغ والإفهام، توصيلا للأفكار والتصورات والمعلومات؛ ولم لا المشاعر؟؟

نعم الكتابة قادرة واللغة العربية مسعفة وأساليبها التعبيرية متعددة ومترادفاتها كثيرة واللغة غنية ... ورغم هذا الغنى فإن التواصل بالكتابة لا تؤدي الغرض، ولا تستوفي القصد؛ لا لذات اللغة؛ وإنما لغيرها من الأسباب.

فتجد نفسك بحاجة إلى الكاتب؛ صاحب الكتاب؛ ليفك ألغازه ويكشف أسراره ويفك شفراته. وكأن الكتاب/ المقال لم يكتب باللغة العربية أو كتب باستخدام إشارات معينة لا يفهما القراء – ولو كانوا من الخاصة...

ليس يعني ذلك أنك ساذج أو قليل الفهم أو غير متخصص؛ بل يعني– بكل صدق– أن الكاتب لا يعرف أبجديات التواصل بالكتابة العربية، بله أن يتقنها...

نسجل هذا الأمر كذلك في الكتب المقررة للدراسة، في المدارس والكليات، وكأن المؤلفين والإدارة التربوية المصادقة على الكتب المبرمجة تقول للتلميذ أو الطالب:

" إنك بحاجة ماسة إلى الساحرِ المدرسِ الأستاذِ ليفك السحر ويقرأ الطلاسم".

تقول له بصيغة غير مباشرة؛ وفي أحيان أخرى؛ مباشرة:

" إنكَ بحاجة إلينا ولست مستقلا عنا؛ إن سجن المدرسة لن يخلي سبيلك". (رفض بيع براءة الاختراع؟؟)

(ولا يجب أن يفهم من كلامنا أنا ندعو إلى الاستغناء عن الأستاذ المعلم. فذلك غير ممكن مهما تطورت التقنيات والتكنولوجيات. فمن خلال المعلم تزرع بذور القيم الجميلة والمبادئ الرفيعة، التي يصعب؛ إن لم أقل يستحيل؛ نقلها عبر الكتابات والمقالات...)

السبب والعلة – في غموض كثير الكتابات– هو أننا لا نكتب لغيرنا من المتلقين، بل نكتب لأنفسنا، بل أخشى القول إننا نكتب لنكتب...الكتابة العبثية.

إن بعض (الكتاب) لا يكتبون إلا من أجل الكتابة[54]؛ يكتبون وذهنهم خال من الأهداف الإجرائية والعامة... للكتابة. هذه الأهداف هي التي تعطي القيمة للكاتب والمكتوب، وتسطر الطريق لمسار الكتابة فتكون بمثابة الصوى الهادية الموجهة إلى البغية المقصودة.

---

[54] ذكر حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون 1/35 الموضوعات التي ينبغي أن يكتب فيها الكتاب، وهي:

1- أن يبحث أو يؤلف في مجال لم يسبق إليه.
2- أن يبحث في موضوع فيه نقص يريد أن يسدده أو يتممه.
3- أن يبحث في شيء غامض أو معلق يريد أن يشرحه ويوضحه.
4- أو في شيء طويل يريد أن يختصره؛ دون أن يخل بالمعنى.
5- أو في موضوع مفرق بين الشتات والكتب يريد جمعه وحصره.
6- أو في موضوع مختلط يريد ترتيبه وتنظيمه.
7- أو في شيء أخطأ فيه غيره فيقوم بتصحيحه.

وفي القواعد للزركشي 1/72 قال صاحب الأحوذي:" ولا ينبغي لحصيف ان يتصدى إلى تصنيف أن يعدل عن غرضين، إما أن يخرع معنى وإما أن يبتدع وضعا ومبنى، وما سوى هذين الوجهين فهو تسويد الورث والتحلي بالسرق".

ومن الأسباب المهمة في فهم الظاهرة:الجهل بقانون التموقع: ويعني أننا لا نضع أنفسنا في محل الآخرين، وفقا لزمانهم ومكانهم وعقلهم وسقفهم المعرفي وحالاتهم الشعورية ووضعيتهم التاريخية والجغرافية، وبنية لغتهم وأساليبهم في الخطاب...

هذا إذا كان الكاتب يكتب ما يفهمه –الفهم الدقيق. أما إذا كان يكتب ما لا يفهمه أو يفهمه فهما ناقصا مشوشا، فتلك هي الطامة الكبرى.

إن هذا الأمر الذي أتحدث عنه ليس ضربا من الخيال، أو شطحات فكر، بل هو واقع قائم بذاته؛ واقع وقوعا لا شك فيه، وبكثرة.
ولعل الجهل الضارب بأطنابه في الكثرة الكاثرة الكارثية من المجتمع راجع إليه، وسبب فيه كذلك.
نسجل هذه الظاهرة كذلك في اللغة الشفهية؛ فهي لا تخلو كذلك من الغموض– ولكن غموضها أقل من غموض الكتابات، الأدبية خصوصا والعلمية عموما.

قال عبد العزيز حمودة في كتابه المرايا المقعرة – نحو نظرية نقدية عربية:
« غموض الكتابات الحداثية العربية نوعان: غموض غير مقصود وغموض مقصود متعمد. والغموض غير المقصود من النوع الذي لا يغتفر، فمن ناحية النتيجة فإنه يؤدي إلى تشويه الأفكار والمفاهيم الأصلية. وأما أسبابه فهي الأخرى لا تغتفر لأنها تنشأ إما عن سوء فهم النص الحداثي، وإما عن سوء نقله إلى العربية، وفي معظم الأحيان عن الاثنين معا...

أما الغموض المقصود في الكتابات الحداثية العربية فهو مجاراة واعية مدركة لغموض النص الحداثي في لغته الأصلية تأسيسا على مبدأ لفت لغة النقد النظر إلى نفسها »[55].

[55] (انظر سلسلة عالم المعرفة العدد 272 ص:106– 107)

لا يحسن أن يفهم من مقالتي هذه أن الناس في التأليف سواء. فمنهم النجباء الأذكياء الذين يكتبون ما يستوعبون وما يُستوعب؛ ولكنهم نزر يسير مقارنة مع أصحاب درجة الصفر من الكتابة. (أي الذين يكتبون ويكثرون ليقال عنهم ويتحدث بهم...أو لأغراض أخرى لا نعرفها...)

ولا أحب أن يفهم من كلامي أن اللغة العربية قاصرة عن التعبير كما يتخيل وهماً بعض الذي ارتضعوا لبان ثقافة لغات أجنبية، إما هنا أو هناك. فاللغة العربية غنية كل الغنى، والقصور إنما هو قصور في مستعمليها.

لا يختلف بعض المحاضرين والكتاب والمؤلفين عن غيرهم من سوقة الناس – عوامهم– إلا باللغة (الفصحى[56]) التي يستعملون لزخرفة أقوالهم وتنميق معاني لا ترقى إلى درجة المعاني...

فهناك أفكار ومعلومات معلومة لدى أغلب الناس إلا أن الفرق كامنٌ في الخطاب الذي يحملها:

فالعوام سوقةُ القومِ يعبرون عنها في خطاب دارج عاميّ.

و(المثقفون) يعبرون عنها في قوالب (الفصحى)، ويضيفون لها الألوان والزخارف والمحسنات فتغدو كالجميلة– وهي ليست بجميلة.

ومن الزخرف المَضْفِي على الكتابات (غير الراقية إلى درجة الكتابة والإبلاغ) إحصائيات وأرقام ووثائق ودراسات ميدانية، تُطَن بها آذان السامعين أو القارئين.

لا يكاد الذكي، بل حتى العامي قليل الذكاء، يجد فرقا بين الاثنين، بل هما نمط واحد في صورتين متباينتين في الفصل لا في الأصل.

[56] واعلم أن الأغلبية الساحقة لا يجيدها. إنها فصحى تجوزا، بغض الطرف عن اللحن وفساد الذوق...!

وقد كنت يوما أقرأ على أحدهم فقرات من كتاب فاستوقفني قائلا:" إن هذا الذي يتحدث عنه المؤلف معروف ومعلوم عند كل الناس... فلا داعي للتكرار..."
فعجبت من كلامه ولما تأملته أذهلني ذكاؤه ووعيه.

ومن الزخرف كذلك أسلوب جديد استشرى في المجتمعات المتخلفة بين مثقفين؛ في حقول متعددة؛ وأخص بالذكر حقل السياسة وعلم النفس والاجتماع والأدب والتاريخ... وهو أسلوب اللَّف والدوران.
فهو الكلام الذي لا ينطبق عليه حدُّ الكلام: وحده: اللفظ المركب المفيد بالوضع؛ ولا إفادة إلا بالتركيب السليم المُفهم.
فالكلام إذا لم يك إجرائيا عمليا دقيقا لا يتحقق منه مقصود، وتتحقق منه الصرفة والإبعاد والعجز[57].

التصالح مع الترجمة:

لا يشك أحد في أهمية ترجمة أفكار الآخرين ومؤلفاتهم الأدبية والعلمية – إلا أن يكون رأيا شاذا...فالحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها.
ولا يجادل أحد في ضرورة نقل الأفكار والتصورات بنزاهة علمية وأمانة خلقية – كي تصل الفكرة والمعلومة إلى المتلقي كما أرادها صاحبها وقصدها.
نريدها ترجمة أمينة في نقلها، لا مشوهة مخلة بالنص الأصلي. فكثيرة هي الترجمات، لكن الجودة فيها قليلة.
فعندما تقرأ بعض المترجمات – من الكتب والمؤلفات – تحس أن الفكرة الأصلية مشوهة مشتتة بين ركام الألفاظ والكلمات، التي لا يكاد يجمعها جامع ولا ينظمها ناظم. وقد لا يفهم القارئ النص المترجم كليا أو جزئيا...

[57] صرفة عن معانيه وحقائقه، وإبعاد لهم عن النقد والمحاسبة والعجز عن الفهم.

فلا يجوز أن يتصدر للترجمة إلا المتمكنون المتمرسون على اللغة المترجم منها وإليها. ولا يكفي أن يكون المترجم ملما متمكنا من لغة واحدة؛ بل المطلوب التمكن من لغتين صرفا ونحوا وبلاغة وعادات في الخطاب...

والترجمة في كل الأحوال نسبية متوقفة على الدقة والأمانة وعلم وفقه في اللغتين...

التصالح مع الأدب شعرا ونثرا:

القارئ والدارس للأدب؛ شعرا ونثرا؛ يلاحظ ترد وتدهورا وتقهقرا إن على مستوى شكل أو مضمون النص الأدبي. فكثيرون هم القراء الذين أعرضوا – بعض الإعراض– عن الأدب الحديث. إما سبب إعراضهم فالرداءة. فالأدب الذي لا يستطيع جر قرائه واستقطابهم – في زمن الاتصال والتواصل والقنوات الفضائية والأرضية والشبكة العنكبوتية– مشكوك في قيمته الفنية وأهدافه الأدبية وتوجهاته الإيديولوجية...

أهم ما في الأدب عنصر الإبداع. ولما غاب عنصر الإبداع الجمالي في الأدب الحديث الحداثي وانكب الكتاب على كتابات غامضة – لا يفهمها المتخصصون بله غير المتخصصين من القراء المتلقين– ضاع الأدب.

فالتبس على هؤلاء مفهوم الإبداع والغموض فعجزوا عن التمييز. إذ زعموا أن غموض النص والتباس معانيه وتشابك خيوطه السردية وتداخل أزمنته – تداخلا غريبا لا تستسيغة العقول– إبداع أو جزء من الإبداع. يظنون أن النص الغامض الملتوية أحداثه المختلطة خيوطه قادر على الحياة ومواجهة الزمان، فقالوا: إنه نص لا يموت...

ألم يعلموا أن تضمين النص الأدبي الأخلاق الجميلة والمثل العليا والآداب والحياء – في قوالب فنية وحبكة جميلة متماسكة وشخصيات متزنة ومعان راقية وعقد أدبية مشوقة منسوجة بعناية وإتقان...كفيل بزيادة العمر الافتراضي للنص الأدبي؟

القيم والفطرة

وما الفطرة؟

الفطرة استعداد طبيعي وإمكانيات كامنة قابلة للتطوير أو هي هياكل وقوالب مجهزة تؤثر فيها المكتسبات والمتعلمات ومختلف الموارد.

فالإنسان مستعد بالقوة ليكون خيِّرا أو شرِّيرا.

- فالتنشئة على القيم الإيجابية = إنسان خير/ صالح...إن شاء الله.
- التنشئة على القيم السلبية = إنسان شرير/ طالح...

تتأثر الفطرة ب:

- محيط الأسرة.
- الإعلام.
- المدرسة.
- المجتمع.
- النخبة[58]...
- ....

برهان ما أقول: إذا عزلت طفلا عن المحيط الاجتماعي والحياة الأسرية فلن تقوده فطرته إلى شيء.

فالمحيط والتنشئة الاجتماعية والأسرية واللغة والتواصل والتعلم... هي التي تعطي للإنسان الوجود الفعلي: أي الوجود بالفعل في مقابل الوجود بالقوة...

---

[58] للنخبة في المجتمع تأثير كبير ووقع عظيم، لا سيما إذا أبرزت هذه النخبة في وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري. والإعلام هو الذي يؤشر على النخبة إما بالقبول أو بالرفض... النخبة بسلوكها وطريقة تفكيرها وعاداتها وملابسها وطريقة حديثها وهواياتها واهتماماتها قدوة يقتدى بها عامة الناس وخاصتهم. وهي (مؤلفة) من العلماء والسياسيين والأدباء والمثقفين والفنانين ونجوم الرياضة... وقد تكون من المنحرفين الشاذين.

فما هي علاقة الفطرة بالقيم؟

– الفطرة استعداد وقوة باطنية وإمكانيات: قوة مجانبة (محايدة).

– توجِّه القيم الجميلة الفطرة وتغذيها، وتنتج الفطرة السليمة القيم الجميلة.

فالعملية؛ إذن؛ تبادلية: بحيث تتغذى الفطرة من القيم لتنتج قيما.

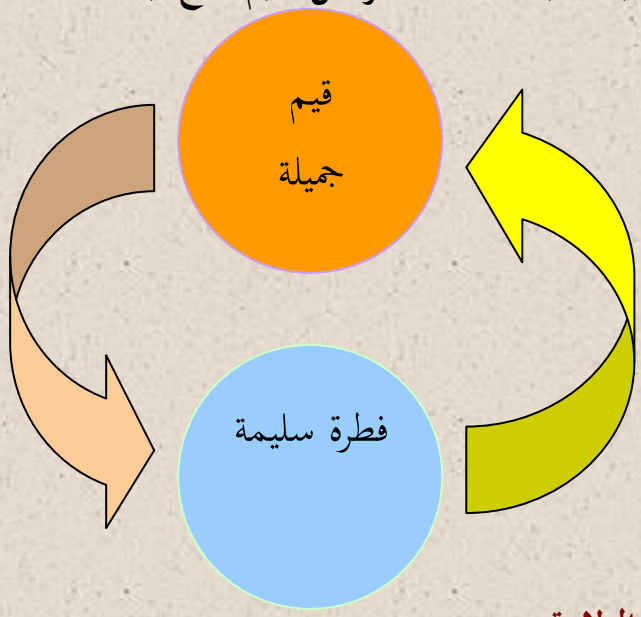

حال الفطرة عند الولادة:

كصفحة مسطرة توجه الكتابة؛ يمكن أن تكتب عليها الخير والشر.

ولماذا هي صفحة مسطرة وليست صفحة بيضاء؟

لأنَّنا مهما غيرنا فطرة الإنسان إنما نغيرها وفقا للقوالب الفطرية الجاهزة، إما في اتجاه الخير أو في اتجاه الشر. فالسطور هي المعالم والمحددات الهادية: هي بعبارة أخرى مصادر القوى الكامنة في الإنسان...

أما كونها صفحة مسطرة فلأن الإنسان لن يفقد إنسانيته إلا بالموت...فالطفل إنسان والشاب إنسان والكهل والشيخ إنسان...

أما الذين يقولون إن الطفل لا يولد صفحة بيضاء فيقصدون أن للطفل مؤهلات وقدرات وملكات...فتلكم المؤهلات والقدرات والذكاءات...مكتسبة لا موروثة؛ يكتسبها الطفل من

البيئة التي يترعرع فيها...إن تلك الطاقات موجودة بالقوة والاستعداد الفطري ولا تظهر إلا من خلال العوامل البيئية والتنشئة الأسرية والتواصل والتقاسم والاحتكاك...

صحيح الكسل يورث والجهل يورث والفقر يورث...يورث ثقافيا لا جينيا.

القيم والاستهلاك:

"الحاجات والرغبات لا حدود لها، أما جوف ابن آدم فلا يملأه إلا التراب...إن الاستهلاك سلوك فطري من جهة ومكتسب ثقافي من جهة أخرى...وقد يكون الاستهلاك عبادة يتقرب بها إلى الله، كما قد يكون معصية وإثما كبيرا وهلاكا...فالاستهلاك من منظور شرعي وسيلة لا غاية...ثم إن الشراهة الاستهلاكية والنفقات الترفيهية والمظهرية سبب الأزمات والويلات ما ظهر منها وما بطن...

جنون الاستهلاك ضرب من ضروب فساد المنظومة القيمية والأخلاقية ودليل قاطع على التخلف العقلي والمجتمعي وفساد الرؤية الاقتصادية...

لقد نظم الإسلام سلوك المستهلكين تنظيما محكما؛ فالقاعدة المؤطرة للعملية الاستهلاكية هي: التوسط والاعتدال. أما الإسراف والتبذير فمحرمان تحريما قاطعا قطعيا.

الإفراط في الاستهلاك عائد بالضرر البالغ على الإنسان والحيوان والبيئة....ويندرج في هذا الإطار الإسراف في استهلاك الموارد الطبيعية والمصادر الطاقية...

صناعة المستهلك: تتحقق من خلال العمليات الإشهارية والدعائية والأساليب التسويقية المغرية...وتكلف هذه العملة الشركات المبالغ الطائلة الخيالية...

وتستهدف العملية الإشهارية مختلف الشرائح والفئات والطبقات: صغارا وكبارا، رجالا ونساء، فقراء وأغنياء...وتستغل المرأة وجسدها وسيلة للترويج لكثير من المنتجات!... وليس الصدق بالشرط الضروري عند أغلب المستشهرين وشركات الإشهار؛ الغاية عندهم الترويج للمنتج أو السلعة عن طريق الكذب والإغراء والتلاعب بالعقول والأذواق (الغاية تعلل الوسيلة)...

جمعيات حماية المستهلك: أما جمعيات حماية المستهلك فلم ترقَ إلى مستوى تلك الشركات العملاقة المجندة برؤوس الأموال الخيالية والموارد البشرية المؤهلة للدفاع عن مصالح الشركات بغض النظر عن الحق والباطل...فمعاناة المستهلكين كبيرة والأضرار التي يتكبدونها عظيمة مادية ومعنوية وصحية...

الأطفال المستهلكون: يعتبر الأطفال من ضحايا السياسيات الإشهارية الكاذبة ...إن تنشئة الأطفال على حب الاستهلاك وربطهم بمنتجات معينة يجعل منهم زبناء للشركات، يستهلكون المنتج ويروجون له؛ إذ أطفال اليوم رجال غدا... لهذا فالأطفال في حاجة ماسة إلى القدوة الاستهلاكية الرشيدة... ولا تقل مكانة الإعلام أهمية لترشيد سلوك المستهلكين من الأطفال وغيرهم...ومما يؤسفُ له أن يساهم الإعلام في التغرير بالمستهلكينَ والتلاعب بهم وبصالحهم مقابل أموال تدفعها الشركات للمؤسسة الإعلامية...

إن قلة وعي الآباء (أو انعدامه) بأخطار الاستهلاك لجاعل من الأبناء لقمة سائغة مستقرها بطن شركات همها الترويج للمنتجات ورفع نسب عدد المبيعات...

ومن المسؤول عن التوعية؟ سؤال لا يحتاج إلى جواب...فالجواب معلوم أبلج، وهدفي من طرح السؤال هو إثارة الانتباه إلى أمر بالغ الخطورة؛ هو: ضرورة حماية المستهلك من وحش الدعاية الإشهارية...

هل الوعي بالخطورة كاف؟ والوعي غير كاف؛ إذ يقتضي الواجب الأخلاقي أن يحمى المستهلك ويضرب بعنف على يد الشركات المتجاوزة للحدود...

أخلاقيات العلم:

- هل أصبح العلم تابعا وخاضعا لسلطة المال؟
- لماذا يسكت أهل الميدان وخبراؤه عن فضح المخالفين المتلاعبين فعقول الناس وأذواقهم؟

- هل باع العلماء والخبراء أنفسهم مقابل عرض قليل دراهم معدودة لا تعادل جزء يسيرا من حياة البشر والكون والكائنات؟ أم غرَّتهم السيارات الفارهات والبيوت الشامخات والعمارات والأراضي والضيعات...؟!
- هل من العلماء شرفاء؟...نعم منهم شرفاء ومنهم من باع نفسه مقابل عرض زائل...

أنْسَنَةُ الشركات

ينسى الناس أو يتناسون أنَّ بعضَ شركات الإنتاج والتسويق... تسهم بسهام عديدة في الترويج للفساد والرذيلة وإشاعة الأخلاق الفاسدة عبر إنتاجها أو تسويقها لمنتجات فاسدة مفسدة، مستغلةً لذلك السلطة السحرية الإعلامية للدعاية والإشهار الصادق والكاذب، تغرر بالمستهلكين وتستخف بإنسانيتهم وبحقهم في العيش الهنيء في محيط نظيف وكون متزن...

صحيح: إن الإنسان يختار لباسه وزيه وما يستهلكه كما لا يجبر على استهلاك ما لا يحب...لكنه؛ رغم ذلك؛ مسير في اختيار الموجود المتوافر في السوق. فإذا افترضنا أنه لم يجد ما يرضيه وما يليق به وبأخلاقه، فإنه يضطر للاختيار فيما هو موجود أو يتنازل عن بعض مبادئه لأجل الضرورة أو لمسايرة العصر والحداثة... فهل نحن في حاجة إلى رقابة أخلاقية لتحمي المستهلكين وتوجههم الوجهة الاستهلاكية السليمة أو نترك الشركات تَصول وتجول في السوق الاستهلاكية كما حلا لها وطاب؟؟ وهلْ نحن في حاجة إلى شركات خضراء لا تستهين بالإنسان وكرامته والكون وجماله؟؟

القيم والسعادة:

مما يقوله ابن منظور– في مادة سعد:

" سعد: السَّعْد: اليُمْن، وهو نقيض النَّحْس، والسُّعودة: خلاف النحوسة، والسعادة: خلاف الشقاوة. يقال: يوم سَعْد ويوم نحس. وقد سَعِدَ يَسْعَدُ سَعْداً وسَعادَة، فهو سعيد: نقيض شَقِي مثل سَلِمَ فهو سَليم، وسُعْد، بالضم، فهو مسعود، والجمع سُعداء والأُنثى بالهاء. قال الأَزهري: وجائز أَن يكون سعيد بمعنى مسعود من سَعَده الله، ويجوز أَن يكون من سَعِد يَسْعَد، فهو سعيد. وقد سعَده الله وأَسعده وسَعِد يَسْعَد، فهو سعيد..."

ماهية السعادة:

انشراح النفس وهدوء الروع واطمئنانه، بحيث يحس المرء بالبهجة والسرور. ويمكن تمييز حالة السعادة عن **الحالات العادية أو حالات التوتر والغضب**. فلا يعد الغضبان والمتوتر سعيدا، كما لا يعد الإنسان العادي سعيدا. بحيث إن السعادة مرحلة متقدمة عن الفرح، فالفرح الدائم المستمر يتحول إلى سعادة، ويمكن اعتبار الفرح سعادة جزئية أو مقدمة لها. ومن المعلوم بالتجارب أن السعادة الدائمة الطلقة غير متاحة في الحياة الدنيا.

تحصيل السعادة:

1- **تحصيل السعادة المطلقة:** العمل الصالح في الدنيا والتزام دين الإسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة كفيل بتحصيل السعادة الأخروية.

2- **تحصيل السعادة النسبية:**

أ- **السعادة الحقيقة**: التزام القيم الإسلامية/ الدين الإسلامي.

ب- **السعادة الوهمية**: غير مؤطرة بتعاليم الإسلام وقيمه النبيلة.

الوصفة الإسلامية كلية شمولية:

المريض ملزم باتباع الوصفة الطبية ونصائح الصيدلاني، ويعتبر المريض المخالف مخطئا؛ إن هو لم يلتزم بتعاليم الوصفة الطبية ونصائح وتوجيهات الصيدلاني. ومعلوم أن الوصفة تؤخذ بالجملة، فلا يجوز للمريض أن يختار دواء دون دواء أو يجمع بين الأدوية أو يفرق بينها مخالفا للوصفة والنصيحة. وإن فعل ذلك فإنه يعرض نفسه للتهلكة؛ ولن يحصل له الشفاء المطلوب.

وكما أن الوصفة الطبية تؤخذ بالجملة، ومن خلال توجيهات الطبيب ونصائح الصيدلاني، وكذلك الوصفة الإسلامية الشرعية (من أجل تحصيل السعادة النسبية في الدار الدنيا والمطلقة في الدار الباقية) لا توتي أكلها إلا إذا طبقت جملة وتفصيلا. قال الله سبحانه وتعالى:" وما كان لمومن ولا مومنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص لله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا". (سورة الأحزاب الآية 36).

السعاة والمال:

يعتقد كثيرون أن تحقيق السعادة مرهون بالغنى والمال. فهل كل غني سعيد؟ وهل كل سعيد غني؟؟...

ليس كل الأغنياء سعداء ولا كل السعداء أغنياء. فيتبين من هذه الإجابة الموجزة أن السعادة لا يقتضيها المال والغنى اقتضاء منطقيا ضروريا. فقد يكون الغنى وسيلة للسعادة أو وسيلة للشقاء... يتوقف ذلك على تصرفات المالك الغني وأساليبه في الحياة والعيش. والسعادة التي يحققها المال ليست كل السعادة، بل نوع منها فقط.

أنماط السعادات:

- سعادة حقيقية وسعادة وهمية.
- سعادة دائمة وسعادة مؤقتة.
- سعادة مأمونة الغبّ وسعادة غير مأمونة.
- سعادة الفقراء وسعادة الأغنياء.
- سعادة مالية وسعادة اجتماعية.
- سعادة الأكل والجماع...

الإنسان ومشكلات[59] الحياة:

العيش في الدار الدنيا محفوفٌ بالمشاكل والابتلاءات، فالواجب أن يكون الإنسان قادرا على تجاوزها والتوافق والانسجام معها. فالمشكلات جزء لا يتجزأ من الحياة وسنة من سنن الله في الكون. فهي إما ناتجة عن الإنسان – يسببها– أو ناتج عن الطبيعة – وكلاهما واقع بإذن الله عز وجل.

والواجب أن يستعين الإنسان لحل المشاكل والتوافق معها:

- بالله الواحد الأحد.
- بالشريعة الإسلامية.
- بالعقول المستنيرة بالقيم الجميلة والأخلاق الفاضلة.
- كما يمكنه أن يستعين بالتجارب البشرية الناجحة – شريطة موافقتها لتعاليم الإسلام.

---

[59] بعض مشكلات العالم الإسلامي – في عصر العولمة:

– مشاكل التلوث البيئي والسلوكي والقِيَمي ورعاية الطفولة والعنوسة.

– مشاكل المرض: الإيدز – الأوبئة – الأمراض المشتركة – مشاكل الغذاء والدواء.

– مشاكل الفقر والبطالة والاكتئاب والانتحار.

من أجل السعادة البشرية.

تأملت أسباب الشقاء في العالم– اليوم– فوجدت منها الأنانية؛ فحظها عظيم وشرها مستطير...

الأنانية من السلوكات المرضية المنتشرة – بكثرة– بين الناس في أرجاء العالم؛ ولها مظاهر اقتصادية واجتماعية وفكرية... إن برنامج الأنانية وحب الذات من البرامج القديمة في التركيبة البشرية؛ ومن منظار "نظرية العادات"[60] فإن الأنانية من العادات المتأصلة في النوع البشري؛ فإذا لم تشذب وتضبط بالتوجيهات والقيم الجميلة أحدثت الجرائر المتنوعة– كما نشاهد ذلك اليوم.

معدل الأنانية في ازدياد مهول مخيف؛ فالرأسمالية ومفاهيمها والحداثية وترهاتها، وما بعد الحداثية وخبثها، والعولمة الشريرة، وما بعدها، تكرس لهذا السلوك بقوة. ومن تبعات السلوك الأناني تفسخ المجتمعات وتبدد التكتلات[61] بالمعنى الأخلاقي للكلمة، فمن نتاجها؛ في المجتمعات الإسلامية – مثلا– التفككات العائلية...

إن الوضع العائلي في البلاد الإسلامية، وكذا في البلاد غير الإسلامية؛ يرثى له، لأننا أصبحنا محملين بكميات هائلة من الأنانية. يدعمها التأويل الفاسد للخلافات والتصرفات، وكذا المنطق الفاسد للرأسمالية – باعتبارها فكرا ونمطا اجتماعيا واختيارا استراتيجيا...

ليس من الشرف أن أدلي بملاحظة مهمة لاحظتها وتلاحظونها وهي أن الرابطة / الآصرة المادية؛ هزمت وبتفوق منقطع النظير؛ آصرة القرابة والأمومة والأبوة؛ دع عنك

---

[60] فذلكة النظرية أن كل سلوكات الإنسان ومشاعره وأفكاره عادات تعلمها وسلوكات اكتسبها من ثقافة تربى في أحضانها وارتضع لبانها. فهي إرث بشري ثقافي.

[61] التجمعات والتكتلات والأحزاب...تحمل داخلها عوامل التشرذم والشتت وإن ظهر أن لسانها واحد وفعلها متحد. فما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل.

آصرة الصداقة؛ بل إني أقلل من وجود الصداقة الفضيلة؛ صداقة التقوى؛ وإن كنت لا أنفيها. فالمقبولون في العالم – اليوم – هم: الأقوياء والأغنياء وأصحاب الجاهة والذين يفاد منهم ويستفاد...

تجرد الإنسانية عن أنانيتها هي التي تضمن لها الانتماء إلى الفصيلة البشرية؛ وإلا فإنها من الحثالة الإنسية...

من أجل السعادة البشرية يجب التخلص من الأنانية المرضية؛ التي فعلت في الناس والمجتمعات الأفاعيل.

أدعو الناس العقلاء منهم إلى أنانية من نوع آخر؛ جديد كل الجدة؛ وهي **الأنانية الجماعية الكونية**. ولست أقصد بها التكتلات العنصرية المرضية.

المدارس الأولى البيوت، والمدارس الثانية وسائل الإعلام، والمدارس الثالثة الأزقة والشوارع؛ والمدارس الحكومية وغيرها، والكليات، والمعاهد، وسوق الشغل، وعامة الأجواء مصادر التنشئة الاجتماعية؛ **لا تربي الناس على التضامن والإتحاد**، ولا تربيهم على **الأنانية الجمعية الكونية الصحية**. إنها تربيهم على أنا وأنا وأنا ثم أنا.

أنانية الإنسان تسربت خطورتها إلى **البيئة ومكوناتها**؛ فالتلوث البيئي مرجعه إلى فساد الفطرة ودمار العقول. لقد أفضت بالإنسان أنانيته المرضية إلى إقصاء الموجودات من الوجود فغدا نرجسيا، همه المقعد المقيم تنفيذ ما تمليه عليه أنانيته؛ فهدد وجوده من حيث يشعر أو لا يشعر.

في أجواء الأنانية لا تنتظر الحياة السعيدة؛ بل لا تنتظر حتى الحياة العادية؛ إنك في مناخ أناني بضاعة أو شيء تافه؛ تباع وتشترى، ويقضى عليك إذا لم تكن محققاً أهدافا؛ إذا لم تكن مساهما عنصرا منتجا، وقمة الإنتاج أن تكون مستهلكا.

ما هي عملة الزمان يا ترى؟ إنها المصالح بغض النظر عن العواقب والمآلات. فيمكن أن أطلق على العصر الحديث؛ الذي نعيشه "العصر التشييئي"؛ فلكل الموجودات فيه قيمة مادية/ وأرقام؛ لا بالمعنى الإيجابي التثميني للكلمة؛ بل بالمعنى السلبي.

فقيمتك بين الناس تتجلى فيما تملك أو في قوتك وسلطتك؛ وبطبيعة الحال، فإني لست معمماً حكمي هذا؛ فمن البشر ثلة صالحة تنظر إلى الناس نظرة إنسانية؛ ولكن أخشى أن ينقرضوا أو يلتهمهم غول الأنانية المرضية.

إن الأنانية سبب جل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والسياسية...

حسن التموقع/ سوء التموقع

نظرية حسن التموقع:

- أي اجعل نفسك محل الآخر.
- خذ مكانه.
- وتصرف وكأنك في محله.
- عامله كما تريده أن يعاملك.
- وخاطبه كما تريده أن يخاطبك.
- وابتسم في وجهه كما تريد أن يبتسم في وجهك.
- اجعل نفسك مكانه ولتتصرف.

هذا على اعتبارك سويا / كامل الأهلية / متوازنا متزنا، أما إن كنت غير ذلك، فعليك أن تتعلم كيف يحب الآخرون أن يُعاملوا.

وأقصد بهذا أن من الناس من طبع على طرائق معينة في التعامل فيعامل الناس على نحوها فلا يقبلون تعامله / تصرفه هذا، لأنهم لم يألفوه، أو لأن تصرفه نشاز به جفاء – مثلا.

إنَّ سوء التموقع هو سبب البلايا والمحن... فلو تموضع الناس في الأماكن المناسبة – لهم ولغيرهم– لزالت جل أسباب الشحناء والبغضاء – التي تعكر صفاء العلاقات وتمزق الأواصر.

وليحصل التموضع الحسن فواجب توافر شروط:

- أن تنزع عنك أنانيتك، وحبك المرضي لذاتك،
- أن تكون ذكيا فطنا؛ لا كبير القفا غبيا أبله،
- أن تأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات والمميزات،

- أن تلتمس للناس الأعذار، وتأخذ بعين الاعتبار أن الناس بشر والبشر نسبي ويخطئ،
- أن تتروى قبل إصدار الأحكام،
- أن تدرك أن الناس ليسوا وليدي اللحظة، بل مروا بمراحل، وهم الآن يعيشون على النتائج/ الحصاد. إنهم ضحايا التربية التي تلقوها والأساليب التي تعلموها– اعتبرهم ضحايا...

الشقاوة

أرى أنه من بين الأسباب الكبرى للشقاء في العالم – عالم الناس والكائنات الحية وغير الحية – سوء التموقع.

تأمل الحروب والفتن والكوارث البشرية والطبيعية والأخلاقية... تجدها ثمرةً خبيثة لسوء التموقع. فلو تواضعنا في الأمكنة اللائقة بنا لكفينا أنفسنا وغيرنا شراً عظيماً مستطيراً. لكن أسفا كل الأسف فالأنانية فعلت فينا الأفاعيل، فرقتنا شذر مدر أيادي سدى.

أزمتنا أزمة أخلاق وقيم

إننا نسجل بمرارة تدني منحنى القيم الجميلة في المجتمعات. ولا ينكر هذه الحقيقة إلا منافقٌ. ونخشى أن يتحول العيش على ظهر هذا الكوكب إلى جحيم، ولعل إشارات ما نقوله بادية للعيان واضحةٌ:

ففساد الأخلاق وانحراف الشباب وغياب القدوة الصالحة وتلوث البيئة ومظاهر الإسراف والتبذير والحروب والنزاعات الطائفية والعرقية والعائلة الأسرية...كلها تدل دلالة قاطعة؛ لا ريب فيها؛ على أننا مهددون تهديدا كبيرا...ولن ينصلح المجتمع ما لم نرجع إلى جادة الصواب.

قيمة القيم: اعلم رحمك الله أن **قيمة القيم** مخافة الله والتزام الأوامر واجتناب النواهي والتحلي بالأخلاق الإسلامية؛ فإنها منقذة من الضلالة.

ولن ولن ولن ...يستقيم حال الناس في مآلهم ومعادهم ما لم يلتزموا بشريعة الإسلام جملة وتفصيلا...فالتعاليم الإسلامية توخذ بالجملة والتفصيل؛ ولا تقبل التجزيء؛ كوصفة الطبيب، فلا يعقل ولا يصح أن نأخذ بعض الدواء وندع الآخر...فالعلاج لا يتم ولا يتحقق إلا بالالتزام الحرفي بالوصفة الطبية...

فصل الدين عن الدولة: وهل يعقل فصل الروح عن الجسد؟؟!... فقد ثبت بالمنقول والمعقول أن الأسلوب العلماني في الحياة فاشل فشلا ذريعا...فما الويلات والمشكلات والتوترات والأزمات الداخلية والخارجية...إلا نتيجة مباشرة وغير مباشرة؛ وثمرة خبيثة؛ لمنهج فاسد دمر الكون والحياة...

فالتناقض واضح في المقولات العلمانية:

فلا يمكن فصل الدين والتوجهات والإديولوجيات والأهداف عن الدولة ومناهج الحياة...إنه فصل مزعوم نظري لا عملي...والتدين ضرورة كونية وجودية...فمن لا

يعبد الله فإنه يعبد غيره كماله أو هواه وشهواته – عباد الشهوات والملذات... يعتبرون من العابدين شاءوا أو أبوا. فليس في الأمر فصل للدين عن الدولة؛ وإنما هي أضغاث أحلام...

ويجروني هذا جرا إلى الحديث عن أكذوبة الإعلام المجانب– المحايد: فليس هناك ولا هنالك إعلام محايد، فكل الإعلام خاضع لتوجهات وإيديولوجيات وفلسفات مصرح بها أو مضمرة...

أما الذي يقول أنا رجل محايد، لا من هؤلاء ولا هؤلاء...فكلامه ضرب من الخيال– غير النافع – ووهم وجهل. فإما أن تكون أو لا تكون ولا شيء بينهما...فمن منا يرضى بالنفاق منهجا وأسلوبا في الحياة؟؟

فالعلمانية إذاً ضرب من الخيال والوهم أو نفاق؛ والفصل المتحدث عنه مزعوم محال الوجود بالقوة والفعل...

العلمانية: نسبة إلى العلم أو إلى العالم...

- إذا كانت العلمانية نسبة إلى العلم:

فلا قيمة لعلم بلا خلق...ولا فائدة من علم لا يؤطره منهج وقيم جميلة...فالعلم وسيلة لغاية نبيلة...أما إذا تحول العلم إلى فساد ودمار وخراب...فذلك يدل دلالة قاطعة أن العلم لم يهتد بالخلق الفاضل والتوجه القويم...فالعلم بلا خلق دمار وخراب...فليس كل علم نافعا، فمنه النافع والضار؛ ومَنْ غلب نفعه أو ضرره...

- إذا كانت العلمانية نسبة إلى العالم:

فلا قيمة لعالم لا تؤطره أخلاق وقيم جميلة تحصنه من الفساد...فالواجب أن نُعَوْلِمَ الخير لا الشَّر...

لقد جعلت وسائل الإعلام العالم قرية صغيرة...ونريدها أن تكون قرية صالحة لا فاسدة...قرية هنيئة لا متوترة ...قرية سليمة معافاة لا مريضة هاركة...

الإعلام وما أدراك ما الإعلام:

فكم جاهل ننصبه عالما وكم عالم جعل منه جاهلا...وكم خير جعل منه شريرا...حقا إنه سلطة السلط.

بين عشية وضحاها؛ بل في رمشة عين؛ يمكن أن يجعلك الإعلام؛ أيها القارئ الفاضل؛ فنانا أو بطلا أو خبيرا أو جاهلا أو أسطورة...نعم؛ ذلك ممكن. إن الإعلام وسيلة للتلاعب العقول والمشاعر والعواطف والترويج والدعاية...كما أنه وسيلة لنشر العلم والمعرفة الحقيقة...

- يكون الإعلام وسيلة خيِّرة إذا.....
- ويكون وسيلة شريرة إذا....

فالجواب معلوم والحق أبلج والباطل لجلج...وحاجتنا إلى القيم الجميلة والأخلاق الفاضلة كحاجتنا إلى الماء والهواء...

محركات البشر:

"...أما العقل فوسيلة لتحقيق الشهوات والحفاظ على المكتسبات– ما لم ينضبط لضوابط الشريعة...

ولقد نظم الإسلام هذه المحركات وفقا لأخلاق وقيم جميلة...فجعلها جميعها وسيلة لغاية سامية؛ هي الفوز بالجنة.

أما العلمانيون وأشباه العلمانيين والحداثيون وما بعد الحداثيين...فقد ضلوا وأضلوا فجعلوا من تلك المحركات أصولاً وغايات. فبون شاسع بين المنهجين والأسلوبين في الحياة..."

يتحرك البشرُ؛ تحركَ الفاعلِ أو المنفعلِ؛ لأسباب متعددة جلها آيلة في الأخير إلى عناصر مركزية. والمادة من أهم المحركات البشرية كذلك شهوة البطن والفرج. والإنسان في حاجة إلى المال لتغذية البطن والفرج. ثم إن الأحداث الواقعة في العالم بأسره؛ من حروب وفتن وأفراح ونشاطات...سببها الدافع إليها المال والبطن والفرج أو تلك الأسباب مجتمعة.

يعد المال والبطن والفرج من المفاهيم المركزية الرئيسة الكفيلة بفك شفرة / شفرات الظاهرة البشرية.

كلُّ دراسة وكل تحليل لا يأخذ بهذه المعادلة (الحركة البشرية = شهوات البطن و /أو الفرج و / أو المال) يعتبر ناقصا نقصانا فاحشا مخلا بالدراسة والبحث. إنما يبحث الناس عن المال؛ بل يتهافتون عليه ويتقاتلون لتغذية شهوتي البطن والفرج.

صحيح إن هنالك حاجيات أخرى مهمة لكنها ليست في مرتبة المال والبطن والفرج.

قد يبدو عند بادئ النظر أن المال أو شهوتي البطن والفرج ليست سببا للحركة البشرية، وعند التحقيق والتدقيق نجد المال والشهوة أصل الفعل ومصدر الحركة.

كلامنا هذا ينسحب على جل البشر الأغلبية الساحقة إنما القلة القليلة والنزر اليسير هم من يتخذون الدار الآخرة هدفا فيجعلون البطن والفرج والمال تبعاً للشريعة الإسلامية. فحركة هذا الرهط غير حركة الشرذمة الأولى ونتائجهما متباينة كذلك. وأصل الفساد في العالم من صنع يدي الطائفة الأولى.

من الذي دعاك إلى قراءة هذا الكلام (التصور)؟ وما الذي دعاك إلى الجلوس في هذا المكان؟؟

قد تكون الإجابات متعددة. فإذا أجلت فيها بثاقب النظر ونافذ الفكر وجدت الذي دعاك إلى هذا وذاك مال أو بحث عن شهوة: القراءة من أجل وظيفة أو ترقية أو القراءة من أجل المعرفة لفهم الحياة وأسرارها أو التثقف...ووراء ذلك كما لا يخفى عليك مال. أما إذا كانت قراءتك من أجل الدار الآخرة فأنت من أهل الطائفة الثانية الناجية المستثناة.

قد تقسم بالله أنك ما قرأت وما جلست لأجل منفعة مادية ولا منفعة أخروية ولا لشهوة أو شهرة...فإذا لم تقصد فإنك تقصد من حيث إنك لا تقصد؛ من خلال الأهداف المضمرة الدفينة ظهرت لك أم لم تظهر.

لنفترض جدلا وجود حركة عبثية غير مقصودة:

- إذا نظرنا إليها بمنظار الدار الآخرة ومفاهيمها وجدنا هذه الحركة العبثية ملغاة. فالنية والقصدية شرط أساس لقبول الأعمال.

- إذا نظرنا إليها بمنظار الدار الدنيا ومفاهيمها وجدناها آيلة إلى شهوة أو تحت لواء المال.

وهل تعتقد أن جريان الإنسان وراء وازع المادة والشهوة فطرة جبل الإنسان عليها؟ وماذا ترتب عن اتخاذ المال والشهوة محركاً؟ ثم ما هي الحلول العملية للنجاة من معضلتي المادية والشهوية؟

العمل لكسب المال وتغذية البطن والزواج أمر مطلوب بالفطرة ولا يختلف فيه اثنان ولا يتناطح فيه عنزان. إن تحصيل المال والشهوة وسيلة لغاية سامية؛ وهذا هو الأصل الأصيل عند العقلاء. أما جعل التحصيل غاية فشر مستطير وسبب للفتن ما ظهر منها وما بطن (مشكلات: اجتماعية – اقتصادية– فكرية – سياسية – علمية...) وإذا تأملت ملياً أسباب الفتن في العالم وجدتها معزاة لاتخاذ القوم المال والشهوة أصلا. فلو أرادوا النجاة لجعلوا المال والشهوة وسيلة للتقرب من الله لا غاية وقصداً.

إن عرض الحلول من الناحية النظرية عملية سهلة مشوقة وجذابة أما تطبيقها فمعقد وشاق. ويتدخل في عملية التطبيق العامل السياسي والفكري والاجتماعي والتقني والفلسفي والتاريخي والنفسي / الذاتي وهلم جراً. والحري بالملاحظة أن الرغبة الحقيقة في التغيير غير متوافرة؛ عند طوائف كثيرة؛ لا بقوة ولا فعل. أعزُو ذلك إلى أنَّ الإنسان كلما غرق في المادية والشهوة تشكلت له بنيات مادية ومنطلقات شهوانية وتمثلات مضللة فلا يرى بعيني عقله إلا المادةَ والمصلحة والشهوة أو ما يحقق ذلك من قريب أو بعيد.

متى سيملُّ عبّادُ الشهوةِ والمادةِ؟

آن الأوان...

أظنُّ أن يوم الملل قريبٌ، إذ إن الوضعَ الراهنَ يبين ذلك خيرَ بيان وفيه كثير من البرهان. فالسعادة لم تتحقق بالمادة والشهوة ولن تتحقق بهما. ظن كثيرونَ أنَّ الغنى سبب للسعادة والحيوية والسكينة فما أُغْنُوا وفاضت عليهم بحار الأموال فأغرقتهم فما ازدادوا إلا تعاسة إلى تعاسة وشقاء إلى شقاء وملاً إلى ملل.

إننا مقبلون على انفجار أزمة أخلاقية. حديث الناس عن الأخلاق اليوم لا يدل على وحدة في الرؤية وانسجام في الفهم. فلو طلبت من جماعة أن تعرفك على المقصود بالأخلاق لاختلفت اختلافا فاحشاً؛ يدفعك ذلك إلى استنباط حقيقة واحدة وهي أننا نعيش أزمة أخلاقية حقيقية. ما الذي جعلنا نختلف على أمر ذي بالٍ ونحن تحت سقف سماء واحد وندين بدين واحد...؟ هل نقول كما قيل إن في الاختلاف رحمة؟ لا يا هذا إنَّ الاختلافَ هنَا عذَابٌ. وما ينبغي أن نختلفَ في أمر الأخلاق.

كُلُّ الناسِ يتَحدثونَ عن الأخلاق وعند الامتحان/ التطبيق يختلف الأمر ويتباين. وهذه ثالثة الأثافي. ننادي بأن هذا ممنوع وهذا ممنوع لأنه ينافي الأخلاق ونجد أنفسنا عندما نطلق للفعل نخالف مخالة فاحشة.

هل أنت فقير؟

أنت فقير إذا قارنت ذاتك ووضعك بغيرك ممن هم أغنى منك. وغني إذا نظرت إلى غيرك ممن هم أفقر منك؛ ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. جالست طائفة من الناس يدعون الفقر والحاجة ويطمحون للمزيد فعجبت من حالهم لأني أعرفهم أغنياء يملكون السيارة والبيت...

– قلت: أنتم لستم فقراء.

– قالوا: بل نحن فقراء.

– قلت: إنكم تمتلكون كذا وكذا...

– قالوا: رغم ذلك فإن ما ينقصنا كثير...انظر إلى غيرنا فإنهم يمتلكون كذا وكذا وكذا؛ ومثلوا بأمثلة متعددة...

– قلت: لو حضر معنا أغنى الأغنياء لقال ما قلتم وادعى ما ادعيتم. إننا نتوهم أن الغنى يجلب السعادة والرفاه ويطفئ ظمأ الطموح والتمني وليس ذلك كذلك إذا لم ترزقوا القناعة والعفة.

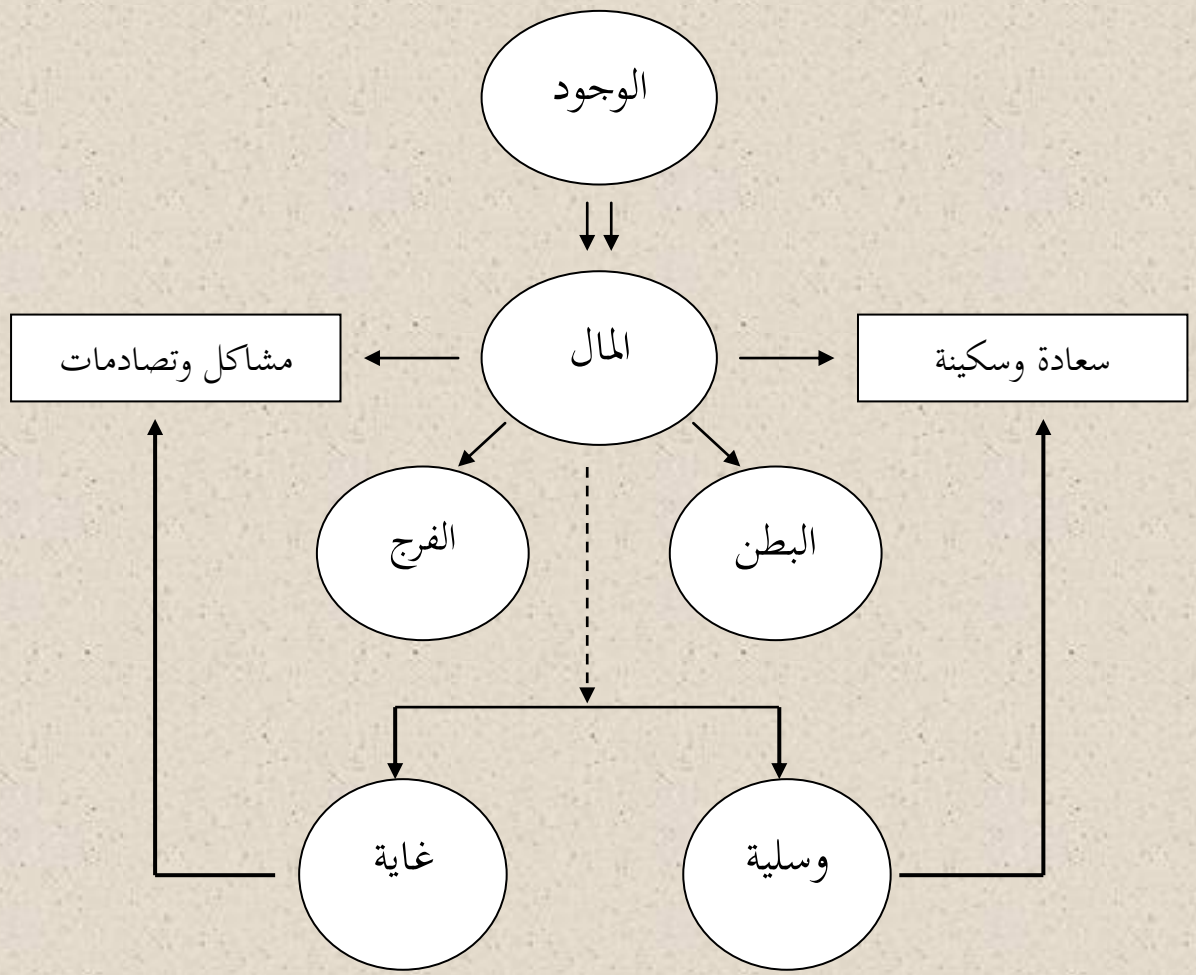

النظرة الإسلامية للحياة:

الحياة من منظور إسلامي قنطرة للدار الآخرة. وسيلة لغاية نبيلة. فبناء على التصور الإسلامي فإن الحياة فانية وعمر الإنسان؛ مهما طال؛ فقصير...

النظرة العلمانية وشبه العلمانية:

الحياة في نظرهم ووفقا لفلسفتهم وإيديولوجيتهم غاية من أسمى الغايات – والتمتع باللحظة من أهم أصول هذه النظرة...لهذا فالحرص على المتعة والمال والمصلحة العاجلة أهم غاية يدركها العلمانيون والملاحدة...

الطائفة المنافقة:

هي طائفة تائهة أشفق عليها؛ تضع رجلا هنا ورجلا هناك. تتحدث عن القيم والأخلاق وتدعو لها دعوة ملحاحة قوية...أَسمِها إن شئت الحداثة الإسلامية أو الإسلام الحداثي...تدعو إلى التجديد والتحديث والتواصل والحوار ومد جسور التواصل وفك العزلة وتحرير المرأة...تدعو إلى ذلك من غير أن تلتزم بالأصول والضوابط والحدود...

وهذه الطائفة أشد خطورة على الأخلاق والقيم الجميلة من الطائفتين السابقتين؛ لماذا؟ لأنها منافقة تغرر بالجهال.

البرغماتية والبرغماتيون:

البرغماتية في اعتقادنا نوعان:

1- **البرغماتية العقلانيةُ**: بحيث إن مستندها العقل المصلحي والنظرة النفعيةُ العمليةُ وأسَاسُهَا الأخْذُ والعَطَاءُ وفقاً لمبدأ المصالحِ المتبادلة...

2- **البرغماتية المتوحشةُ**: استغلالٌ للمصالحِ والمنافعِ بشكل لا يراعي منطقَ التَّبادلِ والتقاسم؛ ولهذا أسميتها البرغماتية المتوحشة.

والبرغماتيتان كلتاهما لا تستندان على الأساس الجزائي الأخروي (العمل في سبيل الله وابتغاء مرضاته)

الإسلام والبرغماتية:

1- تختلف نظرة الإسلام للمصلحة عن نظرة أصحاب الفكر البرغماتي العقلانيِّ والوحشي.

2- المصالح المعتبرةُ في الشَّريعة الإسلامية نوعان:

أ- مصالح أخرويَّةٌ: خدمةً للدارِ الآخرةِ.

ب- مصالحُ دنيويةٌ: باعتبارِ الدنيا معبراً للآخرةِ ودار عمل وابتلاء...

ملحوظة:

- إن المصالح الدنيوية مرتبطة بالمصالح الأخروية ارتباطاً عضوياً. فما خلق الإنسان إلا للعبادة والعمل الصالح: العمل عبادة والبيع عبادة واللهو المباح عبادة بشروط...
- استغلالُ الناس والتلاعبُ بعقولهم ومصالحهم محرمٌ في الشريعةِ الإسلامية.
- لقد حرَّم الإسلام استغلال جهل الناسِ وغفلتهم وقلة خبرتهم.
- المصحلةُ العَامةُ في الشريعةِ الإسلاميةِ مقدمةٌ على المصحلةِ الفرديةِ والإيثارُ سلوك مطلوب مرغب إليه...

- المبدأُ الإسْلاَمي في الجزاءِ أن لكلِّ امرئ ما نوى...

البرغماتيون:

لقدْ أصبح الإنسان المعاصر برغماتياً إلى النخاعِ، تحركُه المصلحة والغاية المادية بصرف النظر عن مقاصد الدار الآخرة؛ فإذا تحدَّث أو عمل أو أقبل أو أدْبر... لا يفعل إلا لمصلحة عاجلة مادّية أو معنوية...فلا يهُم أن يُتْلفَ البيئةَ ويُدمِّرَ الحياةَ ما دامَ يبحثُ عن المصلحة العاجلة. ويشكل هذا السلوك خطراً على المنظومة القيمية...

نظرية لبناء القيم الجميلة

أولا: ملامح البناء الفلسفي للنظرية:

- العقل البشري ينتج بقدر ما يستهلك.
- يولدُ الإنسان صفحة مسطرة؛ توجهكَ السطور لتكتب ما شئت خيرا أو شرا...
- الموروثُ الثقافي أهم من الموروث الجيني في الأغلب الأعم، وقد يلتبس الموروث الثقافي على بعض الباحثين فيفسرون السلوكات بناء على النظرة الوراثة الجينية.
- الذكاء مكتسب لا موروث: نتعلم الذكاء كما نتعلم الحِرَفَ...فالذكاء ناتج عن الممارسة والدُّربة والرياضة الممنهجة...
- السلوك الإنساني مرتبط بالتنشئة الاجتماعية: يؤثر المحيط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي...تأثيراً بالغ الأهمية في سلوكات ومواقف وتصرفات وتصورات الناس...
- الفكر المصلحي: تتجسد أهم محركات غالبية البشر في شهوة البطن – شهوة الفرج – شهوة المال.
- الضعفاء مولعون بتقليد الأغنياء الأقوياء.
- نموذج الفكر السائد في مجتمع الحداثة وما بعدها: – الغاية تعلل الوسيلة.
- بعض مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالمدرسة والإعلام...يمكن أن ترسخ القيم الجميلة والأخلاق الفاضلة إذا تضافرت الجهود وتكتلت المواقف...
- يميل الإنسان إلى اتباع هواه وشهواته ميلاً؛ لذا فالتعزيز والردع ضروريان. وبكلمة أخرى: إن الرقابة الذاتية غير كافية رغم أهميتها.

(أساس الإصلاح = الرقابة الذاتية + الرقابة الخارجية)

- الرقابة الذاتية: تكرس عبر قنوات التربية المختلفة.

- الرقابة الخارجية: مجسدة في مؤسساتٍ تعاقب المخالفين وتزجرهم.

ملاحظة: إن الرقابة الخارجية مدعمة للرقابة الذاتية تدعيماً غير مباشر؛ فالخوف من العقاب عند المخالفة يجعل الإنسان يتحكم في تصرفاته ويقنن اندفاعاته.

ثانيا: ملامح البناء العملي لنظرية القيم:

❖ الأسرة هي المدرسة العظمى والأهم لزراعة بذور القيم الجميلة.

❖ يمكن للمدرسة أن تساهم بحظها الوافر في ترسيخ القيم الجميلة؛ إذا أعيدت للمدارس هيبتها ورد لها الاعتبار...

❖ يمكن للمسجد أن يزرع بذور القيم الجميلة.

❖ يمكن للإعلام أن يكرس القيم الجميلة والأخلاق الفاضلة.

❖ يمكن للنخبة أن تجسد القيم الجميلة فتكون نموذجا...

❖ لن يتحقق المقصود إذا لم تسن قوانين صارمة ضابطة محكمة تمنع المخالفين وتزجرهم – إنما تسن القوانين لتطبق؛ لا لتبقى مكدسة على الرفوف يعمل بها في حالات معينة فقط...والصرامة في تطبيق القوانين ضرورية...إن تطبيق مبدأ الصرامة خطوة جريئة.

❖ وضعية عملية: الشارع ملوث بالأزبال والقاذورات، فمن يتحمل المسؤولية؟

- ☐ يجب على المواطن أن يتحمل المسؤولية.
- ☐ يجب على المسؤولين أن يتحملوا المسؤولية.
- ☐ يجب على السكان أن يعوا بخطورة تلوث الشارع...وتباعا لوعيهم يجب أن يتحركوا لإيقاف الخطر...
- ☐ يجب على الجمعيات البيئية أن تتحرك سريعة للحفاظ على البيئة...

فرضية: إذا تحركت الجهات المسؤولة فبحثت واكتشفت الفاعل أو الفاعلين فالواجب أن يعاقبوا عقابا يتوافق والقوانين المرسومة...

وماذا بعد العقاب؟

إذا كان العقاب مناسبا فلن يتجرأ الفاعل أو الفاعلون على الفعل مرة أخرى...ولئن تبث أنه فعل مرة أخرى فالواجب أن يكون العقاب أقسى...كما يمكن للعقاب أن يمتد إلى حرمان المُلَوِّثِ من بعض الامتيازات...والأساس في تطبيق القوانين هو العدل: إذ الواجب أن يطبق القانون على القوي والضعيف الغني والفقير المعلوم والمجهول...

الجدير بالملاحظة أن فساد المنظومة القيمية يرجع في جزء كبير منه إلى فساد منظومة التعزيز والعقاب. بحيث لا نمتلك من الشجاعة ما يكفي لتطبيق القوانين والضرب على أيدي المخالفين...ثم إن على الفاعلين السياسيين والمسؤولين الغيورين أن يتحلوا بلغة الصراحة والوضوح ويتخلوا عن أنماط اللفِّ والدوران تحت ذريعة السياسة والحكمة...فأساس الحكمة والسياسة الوضوح والشفافية: يجب أن نتكلم بلغة يمكن / لا يمكن...مسموح / غير مسموح...أسود / أبيض...مع تقديم الأدلة القوية حجةً للموقف أو السلوك/ التصرف...أما إذا بقي الأمر كما هو على حاله الآن فسيرسخ في الأذهان أن السياسية ضرب من ضروب الكذب...

كل الناس يتحملون المسؤولية: ولكن المسؤوليات متفاوتة من شخص لآخر. فمصطلح المسؤولية نظري تحدِّد معناه وتقيده وتضبطه التشريعات والقوانين. إن قولنا كل الناس يتحملون المسؤولية يعني فيما يعنيه أن لا أحد يتحمل المسؤولية...فالواجب إذن تحديد المسؤوليات وضبطها ومحاسبة المخالفين كل حسب موقعه وقوته...

فصل: الموَسِّطُونَ والمعَدِّلُونَ...أية قيم؟

مقدمة: .....أوصاني جدي رحمه الله:

أوصاني جدي رحمه الله؛ قال: "حذاريك من بعض القنوات الفضائية الإعلامية فإنها تروج لنظرية الوسطية، بأساليب متطورة ومناهج دقيقة ملتوية... استثمرت فيها أحدث النظرات التواصلية والطرائق الإقناعية والإمتاعية. فقد تخترقك من حيث لا تدري، فأعرض عنها حتى تتمكن من زمام العلوم النقلية، وترسخ في الفنون العقلية؛ كما رسخ الأولون خير البرية، ورغم ذلك فإني لا آمن عليك مغبة مشاهدة برامجها.

- قلت: لكنها تأتي بالصالح المفيد.
- قال رحمه الله: الصالح المفيد طعم لك ولغيرك؛ فلتحذر الطمع.
- قلت: وكيف أصنع؟
- قال رحمه الله: لقد نبهتك عسى أن تنتبه... وانتهت الوصية....

الوافد الجديد القديم:

ظهرت وانتشرت؛ في عصرنا؛ فئات تدعو إلى الوسطية والاعتدال[62] والتجديد[63] وفقه الواقع[64]، وإصلاح الخطاب الديني[65]؛ حتى يواكب تغيرات الزمان والمكان

---

[62] الإسلام الوسطي.

[63] تجديد المقاصد وتجديد أصول الفقه والفقه والتفسير والفهم...تجديد كل شيء...

[64] ويقصدون به جعل الواقع – الصالح والفاسد – حاكما على الشريعة ونصوصها، أما إذا تصادم الواقع والنصوص، فإنهم يحاولون طي النصوص وليها لتخدم أغراضهم وتوفي بمقاصدهم. ولا يقصدون بفقه الواقع ما قصده ابن قيم الجوزية في إعلامه، حيث قال: " و لا يتمكن المفتي و لا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم أحدهما فَهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن و الأمارات والعلامات حتى يحيط به علماً، والنوع الثاني فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر...".

وعوائد الأشخاص والجماعات – يزعمون أن الإسلام لا يصلح لزمانهم إلا إذا جدد وبدل، وأضفيت له صفات العصر ومستجداته... فهؤلاء فراخُ العصرانيين[66].

والعجيب من أمر هؤلاء الموسطين والمعدلين أنهم يستدلون بالنصوص الشرعية وأقوال العلماء الأعلام، لتعليل أقوالهم وبناء منطلقاتهم والتسويغ لاجتهاداتهم وفلسفاتهم. يعتمدون المنطق العلمي والمنهجية الإسلامية الشرعية، ويلمون بمختلف الفنون الإسلامية، يحسبهم الجاهل علماء ولكنهم عملاء أو أشباههم.

---

[65] تجديد الخطاب الديني: يقصدون به جعل الدين الإسلامي – القرآن والسنة ومناهج البحث الإسلامية...– تبعا للنمط الفكري والاقتصادي والاجتماعي والسلوكي...الأمريكي والأوروبي؛ بحيث لا يحدث التصادم بين النموذج الغربي – الأمريكي والتشريع الإسلامي. وبذلك فقد تجاوزوا الدعوات العلمانية الداعية إلى الفصل بين الدين والدولة – السياسة، كما تجاوزوا؛ وتخطوا بخطوات؛ الدعوات اللادينية الإلحادية ليدعوا إلى فكرة خطيرة جدا، لا يدركها إلا العاقلون؛ هي تجديد الدين / الحطاب الديني...لإفساده وتدميره من الداخل.

[66] العصرانيون: فئات تدعي تشبثها بالعقل والفكر، وتنادي بالتحرر من الماضي وأغلاله...تدعو إلى التجديد والتفكير المنطقي والمواكبة والتقدم– وفقا للمفاهيم والفلسفات الغربية... ودعواها أن تغير الزمان يقتضي تغيير النصوص الشرعية لتواكب المستجدات وتحتوي المتغيرات الوطنية والدولية؛ بشكل يوافق المعاهدات الدولية والاتفاقيات. لا ينكرون النصوص الشرعية القرآنية والسنية، وإنما يدعون إلى الاجتهاد فيها، وتنزيلها على الواقع المعاصر. فهم دعاة التنوير – والعقلانية – والتحرر...يقسمون السنة النبوية إلى تشريعية وغير تشريعية؛ وهدفهم من وراء التقسيم خبيث، يدعون إلى الفكر المقاصدي –كما يرونه– ويحتجون بقول العلماء: حيثما وجدت المصلحة فتم شرع الله؛ ويفهمون القاعدة وفقا لمبادئهم ومنطلقاتهم – ويحثون على تجديد أصول الفقه والتفسير...ليسوا علمانيين ولا ثابتين على النصوص والمنطلقات التي اتفقت عليها الأمة...إنهم فئة هجينة تدس السم في العسل... تحسبهم مؤمنين وهم كالمنافقين...لهم رموزهم القديمة وأعلامهم الجديدة. ممولون مدعومون للترويج لفكرهم ودس سمومهم؛ بل فكر أعداء الإسلام. ولهذا تعد العصرانية قنطرة العلمانية.

للتفصيل في الموضوع أنظر كتاب: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب بقلم محمد حامد الناصر.

"لقد زعم أصحاب هذه المدرسة أنهم يريدون التجديد لتنهض الأمة من كبوتها، ويريدون إعادة كتابة التاريخ العربي والإسلامي، من خلال طرح العديد من الدراسات والأبحاث المتعلقة بالتراث، إلا أنهم عمدوا إلى إحياء وتمجيد الاتجاهات الفكرية المنحرفة، وعرضها في إطار عقلاني تحت مظلة الانتماء إلى التراث الإسلامي". الصحيفة 177 من كتاب العصرانيون – محمد حامد الناصر.

إن هذا الوافد الجديد قوي ومدعم بالوسائل والخطط والدراسات. يصيب الهدف في عقر الدار؛ إذ هو مزود بأحدث الأسلحة الصامتة المدمرة...

خصائص الموسطين والمعدلين:

1- يستدلونَ بالنصوص الشرعية.
2- يستدلون بكلام العلماء العاملين.
3- لا يظهرون عداءهم لأحد- في الأغلب الأعم.
4- يحاولون التلفيق بين الأقوال والمذاهب للاستدلال على نظرية التوسط.
5- لهم نصيب من العلم والفقه.
6- مقربون من مصادر القرار، وربما قربهم هو الذي دعاهم للنداء بالتوسيط والتعديل.
7- كثيو الحديث عن المقاصد[67] وروح الشريعة الإسلامية وأسرارها وفقه الواقع وتسامح الأديان وحوار الحضارات...
8- عقلانيون[68] – ويخفون عقلانيتهم.
9- عصريون – تعرفهم بسيماهم وهندامهم...

أهداف الموسطين والمعدلين:

- رأب الصدع بين التشريعات الإسلامية والمناهج الوضعية.

---

[67] ومقصدهم من حديثهم عن المقاصد وروح الشريعة وأسرارها...هو تغيير الأحكام والتشريعات حتى تواكب الواقع الفاسد. فيضيفوا للدين ما ليس منه باسم المقاصد، ويزيلوا منه ما هو منه، باسم الأسرار والحكم؛ مراعاة لفلسفات التشريع الإسلامي.

[68] العقلانيون: يكادون يجعلون العقل مصدرا من المصادر الأصلية للتشريع الإسلامي. يستعملون العقل في غير مجاله. فلو استعملوا عقولهم في البحث فيما ينفعهم وينفع الناس؛ في دينهم ودنياهم؛ لكان ذلك أجدى لهم وأنفع. فالمجالات التي يمكن استخدام العقول فيها كثيرة ومتعددة: كالمجالات التربوية والاجتماعية والفكرية والثقافية والعلمية والتقنية والطبية...لكنهم يأبون إلا أن يخضعوا الثوابت الإسلامية والأصول الدينية للاجتهاد – وليسوا أهله...

- رفع الاتهام بأن الإسلام دين الإرهاب.
- مزاحمة المخالفين أدت إلى نشوء طائفة الموسطين والمعدلين.

ماذا يريد هؤلاء؟

- إنهم يريدون تنزيل الواقع على الدين لا تنزيل الدين على الواقع[69].
- إنهم يريدون تفسير النصوص الشرعية تفسيرا عصريا يوافق الفلسفات الغربية والمواثيق الدولية والاتفاقيات والبرامج التحررية الانحلالية...
- إنهم يريدون تطويع النصوص الشرعية لخدمة التوجهات الإيديولوجية...

وللأسف للمرير:

تصدر تلك الدعاوى من فئات تدعي الالتزام والدفاع عن الدين. أما الفئات الأخرى المتطرفة، فإنها ترفض الإسلام جملة وتفصيلا. ولن نستغرب من الطائفة الثانية المتطرفة؛ لأنها قد أعلنت توجهاتها وفلسفاتها، وصرحت بمواقفها وضلالاتها، وإنما نعجب؛ ونتأسف؛ من هؤلاء الذين ينسبون أنفسهم إلى الدين؛ يدعون أنهم يدافعون عنه ويحرصون على تطبيقه، يوهمون الناس بالإصلاح والتجديد والوسطية ويتهمون المخالفين بالغلو والتشدد والأصولية والظلامية...

يا قوم:

إن دين الله الإسلام متوسط معتدل في أصله وفصله؛ والوسطية من خصائصه: إنه أنموذج الوسطية والاعتدال، فنصوصه القرآنية والسنية نماذج عملية وأمثلة للوسطية. فدين الله لا يحتاج إليكم لتوسطوه أو تعدلوه. قال سبحانه وتعالى: "وكذلك جعلناكم

---

[69] سمعت الدكتور يوسف القرضاوي يتساءل في إحدى محاضراته قائلا: لماذا تطالبون الإسلام بأن يتطور ولا تطالبون التطور بأن يسلم؟

أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" (سورة البقرة/143)

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسدّدوا، وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والرَّوحة، وشيء من الدَّلجة..." (رواه البخاري)

قال البقاعي في تفسيره – نقلا عن الحرالي–: اليسر عمل لا يُجهد النّفس ولا يُثقل الجسم [70].

قال ابن حَجَر: والمعنى: لا يتعمّق أحد في الأعمال الدّينيَّة، ويترك الرّفق إلا عجز وانقطع فيُغلب[71].

قال عبد الرحمن بن معلا: وحتى لا يقع ذلك جاء ختام الحديث آمرًا بالتَّسديد والمقاربة، قال ابن رجب: والتّسديد العمل بالسَّداد، وهو القصد والتَّوسّط في العبادة، فلا يقصِّر فيما أمر به، ولا يتحمَّل منها ما لا يُطيقه[72].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الغلوّ: مجاوزة الحدّ بأن يُزاد في الشيء، في حمده أو ذمّه على ما يستحقّ ونحو ذلك [73].

وقال ابن حجر في تعريفه للغلوّ: المبالغة في الشيء والتّشديد فيه بتجاوز الحدّ [74].

قال الشيخ ناصر العمر في كتابه الوسطية في ضوء القرآن– في تعريفه للغلو: فالغلو إذا هو مجاوزة الحدّ في الأمر المشروع، بالزّيادة فيه أو المبالغة إلى الحدّ الذي يُخرجه عن الوصف الذي أراده وقصده الشَّارع.

---

[70] – انظر: تفسير البقاعي (62/3).

[71] – انظر: فتح الباري (94/1).

[72] – انظر: الغلو في الدين ص (69). والمحجة في سير الدُّلجة لابن رجب ص (51).

[73] – انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (289/1).

[74] – انظر: فتح الباري (278/13).

قال الإمام الشاطبي في موافقاته مبينا حقيقة الوسطية:" فإذا نظرت في كلية الشريعة، فتأملتها تجدها حاملة على التوسط، فإن رأيت ميلا إلى جهة طرف من الأطراف، فذلك في مقابلة واقع أو متوقع في الطرف الآخر.

فطرف التشديد، وعامة ما يكون في التخويف و الترهيب و الزجر، يؤتى في مقابلة من غلب عليه الانحلال في الدين.

وطرف التخفيف، وعامة ما يكون في الترجية و الترغيب و الترخيص يؤتى في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد فإذا لم يكن هذا ولا ذاك ، رأيت التوسط لائحا، ومسلك الاعتدال واضحا، وهو الأصل الذي يرجع إليه و المعقل الذي يلجأ إليه "[75]

" يا أهل التوسيط والتعديل تعالوا إلى كلمة سواء بيننا أن نفهم الوسطية والاعتدال كما جاء بها شرع الإسلام".

إن الإسلام متوسط كله:

- في عقيدته.
- في عباداته.
- في معاملاته.
- في أخلاقه.
- في جناياته.

[75] الجزء 128/2

عدالة الإسلام لا تحتاج إلى برهان[76]:

فقد نظمت شريعة الإسلام علاقة الإنسان بربه ونفسه وأقاربه وجيرانه والمجتمع والناس؛ كافرهم ومؤمنهم، كما نظمت علاقته بالكون والمحيط تنظيما عادلا حكيما – ربانيا.[77]

فلا مجال لمقارنة الحكمة الإلهية بالعدالة البشرية والأحكام الوضعية – ولا عجب لأن الرب سبحانه وتعالى خالق والإنسان مخلوق.

لقد قادتنا العدالة البشرية (المزعومة) إلى ما لا تحمد عقباه: قادتنا إلى الظلم بجميع أنواعه، والتلوث بجميع أشكاله، والجهالة بألوانها المتعدد... وأحداث اليوم والبارحة خير مثال نضربه، وأفضل نموذج نقدمه حجة دامغة على القصور والافتقار إلى عدالة شرعة الإسلام. ألم يحن وقت الرجوع؟؟

يمكن للعقل البشري[78] أن يكون عادلا في حدوده؛ وخطأه في الحكم وارد، فقد يصيب الحق وقد لا يصيبه، وقد يكون الإنسان نزيها في ذاته وقد لا يكون، وقد يفقه

---

[76] قال ابن قيم الجوزية في كتابه القيم إعلام الموقعين عن رب العالمين:" فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها...".

[77] ولما أهْمِلُ منظم العلاقات ومسوي الخلافات – الصراط المستقيم منهج الوسطية والاعتدال– ظهرت النزاعات واشتدت التوترات وفسدت العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان، والإنسان والحيوان والبيئة...وساء حال الناس في زمن الرخاء المزعوم والتكنولوجيات والتقنيات. ظننا التقدم الرقمي سيكون حلاً للمعضلة فكان وبالا علينا لا معيناً. فظهر الرق في حلة جديدة والعبودية البشرية في صفة حديثة. ظنوا أنهم حاربوا الأمية الأبجدية والإعلامية...فطفت على السطح الأمية الأخلاقية وأمية القيم...

[78] إذا شرحت العقل البشري وجدته يتألف من:

1– تجارب موروثة (عادات– نماذج – حلول...)

2– لغة مترجمة للأفكار والمواقف.

3– الهوى. وما أدراك ما الهوى؟؟.

قال ابن خلدون في مقدمته:" العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره. فإن ذلك طمع في محال ومثل

المآلات والحيثيات، وقد لا يفقهها...والعدالة البشرية محكومة بمحدودية الإنسان ونسبيته...

لا يعطل دين الإسلام العقول؛ بل يحدد مجالاتها ويضبطها ليلا تزيغ عن جادة الصواب فتهلك. وتفصيل الكلام في المقام يطول ولمن أراد التفصيل العود إلى المظان...

موصوف عصرنا بالعدالة والديمقراطية والحرية – حرية الرأي والتعبير[79]

والاعتقاد و....– والمساواة...فهل تحسون بالعدالة والحرية...؟!

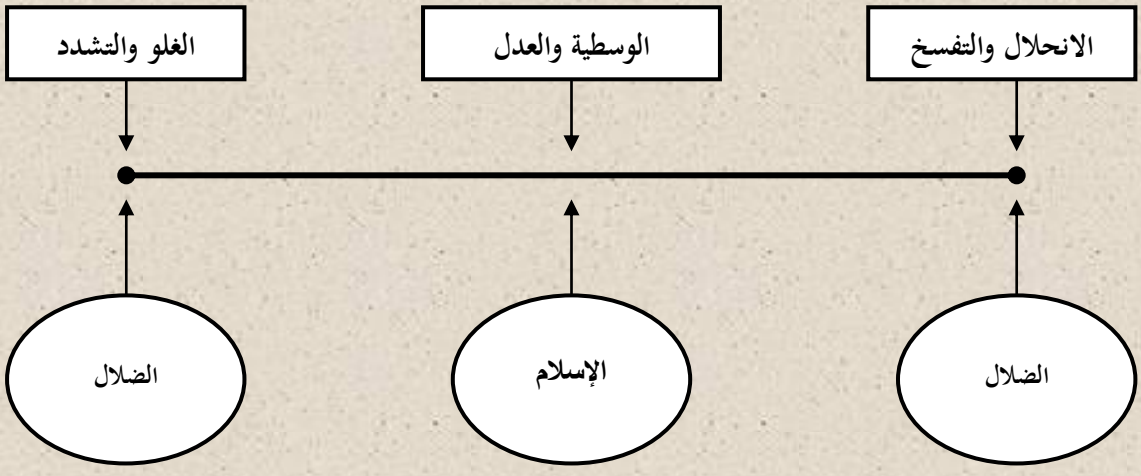

ذلك رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال وهذا لا يدل على أن العقل في أحكامه غير صادق لكن للعقل حدا يقف عنده". (الصحيفة 374)

[79] حرية الرأي والتعبير: من قال بذلك؟

حرية الإنسان مقيدة في الشريعة الإسلامية؛ بالضوابط والقيود ومرسومة لها الحدود؛ وإن أنكر ذلك المنكرون وتجاهله المتجاهلون؛ ليلا يتسرب الهوى إلى الحياة فيفسدها وإلى الأخلاق فيدمرها...وأصحاب هذه الكذبة (دعاة حرية الرأي والتعبير) لا يطبقونا محتواها ومقتضياتها–الفاسدة– عندما يتعلق الأمر بأمور جعلوها مقدسة أو كالمقدسة. إنما يقصدون بحرية الرأي والتعبير قول من شاء ما شاء، طعنا على الشريعة الإسلامية وأحكمها الإلهية أو طعنا على علماء الإسلام وأئمته...لزرع بذور النزاع بين الطائفتين الضالة والمستقيمة على الطريقة، ليستغلوا فترة النزاع لقضاء مآربهم الدنيوية ومصالحهم الاقتصادية...يريدون بذلك تحقيق توازن القوى لتدوم لهم السلطة والقوة...

التشويه:

زيادة على أنهم يريدون توسيط الدين وتعديله فإنهم حريصون؛ كل الحرص؛ على تشويه مصطلحاته[80]... كمصطلح التشدد؛ فقد حملوه ما يطيق وما لا يطيق...

فأغلب ملتزمي الإسلام؛ المحتكمين لتعاليمه؛ يُعْتبرون – في نظرهم – متشددين غالين. ويجهلون أو يتجاهلون أن الحكم بالتشدد أو الغلو يتوقف على فقه في الدين عظيم، وفهم للنصوص عميق، وضبط للقواعد والضوابط[81]...

أصناف الموسطين المعدلين:

الصنف الأول: يعرفون الحق ويفقهونه؛ ويدركون أن دين الله متوسط معتدل، ولكنهم باعوا أنفسهم بدراهم معدودة. فتدفعهم لذة المنصب والوظيفة إلى تبديل الحق وكتمانه...فتجدهم يجارون التوجهات والإيديولوجيات، وينتجون فتاوى على حسب المقاسات ووفقا للرغبات...غفر الله لنا ولهم وإلى سواء السبيل هداهم.

---

[80] فإذا تشوه المصطلح، واختل معناه في الأذهان، تشوهت الأفهام والأفكار، وأثر ذلك على سلوكات الأفراد والمجتمعات...

[81] قال ناصر العمر في كتابه الوسطية في ضوء القرآن: أن الحكم على العمل بأنه غلو، أو أنَّ هذا المرء من الغُلاة، باب خطير، لا يقدر عليه إلا العلماء الذين يُدركون حدود هذا العمل، ويعلمون أبواب العقيدة وفروعها، لأنَّ الحكم على الشيء فرع عن تصوّره، فقد يكون الأمر مشروعًا ويوصف صاحبه بالغلوّ، وها نحن نرى اليوم أن الملتزمين بشرع الله، المتمسِّكين بالكتاب والسنَّة يُوصفون بالغلوّ والتّطرُّف والتَّزمُّت ونحوها. ولذلك فإنّ المقياس في الحكم على الأعمال والأفراد والجماعات هو الكتاب والسنَّة، وليست الأهواء والأعراف، وما تواضع عليه النَّاس، وقد ضلَّ في هذا الباب أُممٌ وأفراد وجماعات.

الصنف الثاني: صنف البغاوات من المقلدين والمقلدات. سمعوا الناس يقولون شيئا فقالوه. مثلهم كمثل الحمار رأى الثيران ثائرة فانطلق معها وهو لا يدري ما دهاها. فعجبا لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون علما ولا كلام... تحسبهم أذكياء وهم على رؤوس الأغبياء...فيا ليت قومي يعون قولي.

أصناف المفسدين:

المفسدون الظاهرون: يعادون الإسلام جهارا.

المفسدون المضمرون: يدسون السم في العسل؛ ومن أصناف هؤلاء الموسطين والمعدلين؛ من يروِّجون للإسلام العلماني/ الحداثي، مدَعَّمين بالوسائل والأموال ووسائل الاتصال والإعلام.

الإرهاب والتوسيط:

دفعت الأحداث الإرهابية أقواماً كثيرين؛ من الباحثين وأشباههم؛ من الكتاب والصحفيين والإعلاميين...دفعتهم إلى رفع شعارات التوسط والاعتدال والتجديد والتحديث (تحديث كل شيء)...كي لا يقال إن الإسلام دين إرهاب– وقد قيل.

لم يكن هدفهم الأساس تبرئة الدين الإسلامي عن الأحداث الواقعة هنا وهناك وهنالك... وكان هدفهم مداهنة القوي العنيف حتى يرضى عليهم؛ ولن يرضى عليهم ما لم يتبعوه شبرا بشبر وذراعا بذراع.

- ألم يعلموا أن الإسلام دين متوسط معتدل – ودين رحمة ويسر... قبل الأحداث وبعدها، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؟

قال سبحانه وتعالى داعيا إلى التعارف والتواصل:" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير". (سورة الحجرات الأية 13)

وقال سبحانه وتعالى:" ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن؛ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين". (سورة النحل الأية 125)

وقال تعالى:"يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون". (سورة المائدة الآية: 105)

عن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
" بينما رجل يمشي بطريق اشتد به العطش. فوجد بئرا فنزل فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش. فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثلُ الذي كان قد بلغ مني. فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب. فشكر الله له، فغفر له. قالوا يا رسول الله، إن لنا من البهائم أجرا؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر". (متفق عليه)

أيا أهل الحداثة والعولمة والفكر والنقد والتحرر والتنوير... إن هذه النصوص الكريمة – وغيرها كثير– تتجاوز أربعة عشر قرنا، وتتجاوز في عباراتها ومضامينها الزمان والمكان. وستُصْلِح كل من يعمل بها ويلتزمها؛ من هذه الأقوام ومن غيرها من الآتية في قابل الزمان والأيام.

سياق الظهور:

فظهرت في هذا السياق تيارات تدعوا إلى التقارب بين المجتمعات المسلمة وغيرها؛ بحيث يمكن للمسلم أن يتنازل عن قليل أو كثير من تعاليم الإسلام وشعائره؛ وربما أركانه حتى يتوافق مع الأشكال الأمريكية والأوربية– الفاسدة.

وفي هذا السياق كذلك أنتجت شركات الإفتاء فتاوى تبيح المحرمات وتشرع للتنازلات، بأسامي حوار الحضارات والتقارب بين الديانات والثقافات...وعَلَتْ أصوات المنادين بروح الشريعة الإسلامية ومقاصدها...وغيرها من العابرات الملغومة والإشارات المسمومة...

الإسلام سباق إلى العولمة– الفاضلة:

يا قوم إن الإسلام دين السلم والسلام، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جعله...

فمن الواجب علينا – نحن المسلمين– التعريف بالإسلام وبيان فضله، ونشره في العالم؛ لأنه رسالة عالمية صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان؛ مهما تغيرت الأحوال وتبدلت الأقوام...

قال الله تعالى: مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [الأنبياء: 107]

وقال تعالى:" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا". [سورة المائدة الآية 3]

وقال تعالى وتبارك:" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ". [الانبياء : 25]

وقال سبحانه وتعالى: "وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى" [طه : 124]

(ومن أعرض عن ذكري) أي القرآن فلم يؤمن به (فإن له معيشة ضنكا) بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة؛ وفسرت في حديث بعذاب الكافر في قبره (ونحشره) أي

المعرض عن القرآن (يوم القيامة أعمى) أعمى البصر.[82] فالخطاب هنا لعامة للمعرضين، والسعة والحياة الطيبة مرهونة بالإتباع والالتزام.

ولا يغترَّنَّ الإنسان بالتقدم العلمي والتقني والغنى المالي...فإنه لا يعكس السعادة الحقيقية الدنيوية، بله الأخروية. ومن رحمة الله بعباده المؤمنين والكافرين أنه لا يكشف عن قلوبهم ليعلم ما يعانونه ويضمرون...

التقصير من الداخل:

وسوء فهم غيرنا (مسلمين وغير مسلمين) لدينهم الإسلام يدل على مسائل كثيرة؛ منها أننا قد قصرنا في واجبنا الشرعي- عولمة الإسلام. وقصرنا في تأطير كثيرين من المنتسبين للإسلام، كي لا يزيغوا عن جادة الصواب...

لهذا فنحن في حاجة ماسة إلى مؤسسات عادلة تشرف على الإفتاء والتأطير، في المجالات الشرعية والدعوية، يشرف عليها العلماء العاملون الأتقياء الأنقياء...

مأسسة الخطاب الديني:

إن نشر الإسلام وعولمته في حاجة إلى عمل مؤسس ومنظم (مؤسسات ومنظمات) ، ويستدعي ذلك رؤوس أموال وخططا إستراتيجية وخبراء ودراسات وتوقعات...ولست ذلك بعمل أفراد أو جماعات، تتحرك هنا وهناك...

لم تتأخر الصحوة الإسلامية عن الركب إلا لأنها لم تواكب المستجدات التقنية والفكرية...فالتركيز على الجهود الفردية المبعثرة لا تجدي فتيلا في زمن المؤسسات والتكتلات والشَّراكات...

---

[82] تفسير الجلالين...

خلاصة الكلام

وخير ما نختم به الكلام سؤال رب العزة والجلال الهداية لهؤلاء الموسطين والمعدلين – فاللهم اهدهم إلى سواء السبيل.

أما واجبنا الثاني فهو التصدي لحملات التوسيط والتعديل بالأدلة والبراهين والبيان المنير:" الرد عليهم بالحجج البينات وإسقاط دعاواهم بنصوص القرآن والسنة ومنطق العقول النيرة، ونعتمد في ذلك على أمرين اثنين:

1- الله عز وجل – فنسأله التوفيق.
2- ثم المنهج السليم.

أ) المنهج المؤسساتي.
ب) ثم المنهج الفردي.

- المنهج المؤسساتي: هو عمل مؤسس ومنظم على قواعد ثابتة وأهداف واضحة وخطط محكمة. فزمن اليوم زمن المؤسسات والمنظمات؛ بحيث لا يجدي فيه عمل الأفراد والجماعات.

ومن وسائل تفعيل المشروع الدعوي المؤسساتي:

- من خلال حسن التحكم في وسائل الإعلام والاتصال المختلفة.
- من خلال الشركات والمنظمات...
- من خلال المدارس والجامعات– مؤسسات التربية والتكوين.
- من خلال الأعمال الاجتماعية والخيرية.
- من خلال المشاركة السياسية الوازنة.

- المنهج الفردي: قائم على تأهيل الموارد البشرية الصالحة المصلحة، تكون قدوة ونموذجا يحتدى به – منخرطة انخراطا فاعلا في المؤسسات– فاعلة في محيطها الصغير والكبير.

- ملحوظة: يحتل المنهج المؤسساتي أهمية بالغة لإنجاح المشاريع بما فيها المشاريع الدعوية الإصلاحية. ثم يجب أن لا ننسى أهمية الأفراد / الموارد البشرية المؤهلة فإنها السبيل القويم لإنجاح جميع أنواع المشاريع. والجدير ذكره في الأخير أن العنصر البشري المنضبط المؤهل المدرك للمآلات القادر على التعامل مع الإشكالات والصعاب والمواجهات...هو الكفيل بإخراج البشرية من ظلمات الجهل إلى نور الفهم.

الختم – التلوث الخلقي

سأختم كلامي في القيم بمقال عثرت عليه في الشبكة العنكبوتية، في موقع صيد الفوائد، للدكتور صلاح عبد السميع عبد الرازق، سأنقله بتصرف يسير من أجل الفائدة ولارتباطه بصلب الموضوع الذي ناقشناه في الصفحات السابقة: عنوان المقالة: التلوث الخلقي (مجتمع بلا أخلاق يساوى بناء بلا أساس)

(حقيقة ومسلمة تفرض نفسها، وتملى علينا أن نراجع أنفسنا فيما ندرس وفيما نعلم وفيما نتصرف، والتربية سلوك قبل أن تكون مجرد معلومات نرددها دون فهم وتطبيق. والتقويم فى المدارس والجامعات يركز على ما هو معرفي ويتجاهل أهم ما في النفس البشرية وهو الجانب الوجداني الخلقي– فالواجب إدماج نقطة الأخلاق والقيم الجميلة في الاختبارات النظرية والعملية.

يعد التلوث الخلقي من أخطر أنواع التلوث على الإطلاق، ذلك لأن مسألة السلوك الأخلاقي تعد الركيزة الأساسية التي يقوم عليها أي نشاط إنساني ، فهي القوة التي تنظم الحياة الاجتماعية من كل جوانبها التعبدية والتعاملية، ومن هنا فإن افتقاد الإنسان للسلوك الأخلاقي الطيب، ينعكس وبصورة سلبية على تعاملاته فربما يكون سببا في إحداث أي نوع من أنواع التلوث في البيئة التي يعيش فيها، ولأن البيئة النظيفة تحتاج إلى إنسان لديه من القيم الخلقية ما يجعله يغار على تلك البيئة ويسعى جاهدا للمحافظة عليها، باذلا جهده ووقته وماله من أجل خدمتها والدفاع عنها.

مما سبق يتضح لنا أن معيار الاهتمام بالبيئة يتمثل بالدرجة الأولى في وجود مجموعة من القيم الخلقية التي يتمثلها الإنسان ويعبر عنها في سلوكه، وعلى سبيل المثال فإن قيمة النظافة تجعل الإنسان يمتنع عن إلقاء المخلفات في الشارع أو في أي مكان من الأماكن الغير مخصصة لإلقاء تلك المخلفات ، وهو على قناعة بما يفعل.

كذلك فإن الصدق كقيمة وفضيلة من الفضائل الهامة التي يتمثلها الإنسان تجعله لا يكذب أبدا مهما كانت الظروف والمسوغات والدواعي إلا في المواقف التي سمح فيها الشرع بالكذب والتي حددها لنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهى (الإصلاح بين المتخاصمين، وفى الحرب، والرجل على زوجته لتدوم العشرة بينهما).

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والبيهقي عن أسماء بنت يزيد "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال: ما يحملكم على أن تتابعوا على الكذب كما يتتابع الفراش في النار، كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب في خديعة حرب، أو إصلاح بين اثنين، أو رجل يحدث امرأته ليرضيها".

وعن أهمية الخلق فقد أشاد الإسلام بالخلق الحسن ودعا إلى تربيته في المسلمين وتنمية نفوسهم ، وفى ذلك نجد الحق تبارك وتعالى قد أثنى على النبي صلى الله عليه وسلم بحسن خلقه فقال : { وإنك لعلى خلق عظيم } القلم 119)

أخرج أحمد وابن حبان عن ابن عمرو "أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال: أحسنكم خلقا".

وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والطبراني بسند جيد عن أنس قال: "لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر فقال: يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر، وأثقل في الميزان من غيرهما؟ قال: بلى يا رسول الله قال: عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فو الذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلها".

إن الأخلاق الإسلامية عنوانها الرحمة. الرحمة من الإنسان لأخيه الإنسان، والرحمة من الإنسان للحيوان فلا يجهده، أو يحمله فوق طاقته، وقصة المرأة التي نص عليها الحديث على أنها عذبت بهرتها مشهورة، فهي لم تطعمها ولا تركتها تأكل من خشخاش الأرض. والرحمة تكون من الإنسان للطبيعة فلا يعبث بثرواتها التي هي خيرات أمده الله بها. ويكفى أن نعلم بأن عدم التفريط بالثروة وصل لدرجة عدم الإسراف بالماء عند الوضوء حتى لو كان المسلم يتوضأ من ماء نهر جار ، والرحمة مطلوبة أيضا من الإنسان لنفسه، فلا يطلب منه أن يحمل مالا يطيق ، فالقاعدة (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها).

إن الحاجة تبدو ماسة اليوم أكثر من أي وقت مضى للالتزام بالخلق الإسلامي من أجل الخروج بالبشرية كلها إلى ساحة الإنقاذ بعدما أفسدت الفلسفات الوضعية ذات المنحى المادي القيم فى معظم الأمم المعاصرة ، وشوهت صورة الأخلاق مما جعل الناس يتخبطون بما نراه اليوم من فساد ، وانتشار للرذائل ، وانهيار شامل في القيم والمثل .

ولقد جاءت الأديان كلها بالدعوة إلى الإعداد الخلقي للنّاس، وجعلته على قمة

أهدافها التوجيهية والتربويّة، وقد أكّد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في قوله: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

وباب الأخلاق باب كبير في السنة النبوية، وقبلها في القرآن الكريم، وقد اختلف العلماء في مفهوم الأخلاق، وعرّفوها تعريفات مختلفة؛ غير أنهم جميعاً يتفقون في صلة الأخلاق بالسلوك.

وأهمية الإعداد الخلقي للشباب أنّ الأخلاق مجالها الحياة كلّها، وسلوك الإنسان كلّه، وعلاقاته بربه وبنفسه وبالآخرين؛ بل وبالمخلوقات كلها.

فالإعداد الخلقي للشباب هو الذي يجعل من الصفات الحسنة، كالصدق والأمانة، والإخلاص والوفاء، والشجاعة والعفة، والمروءة والعدل وغيرها عادات في سلوك الشباب وحركته الدائبة، كما تجعله نافراً في سلوكه اليومي من الصفات السيئة، كالحسد والحقد، والخيانة والكذب، والظلم والغدر وغيرها، وبهذا الإعداد يتجنب الشباب مظاهر غير مرغوبة في السلوك الإنساني، كالحمق والتكبّر، والصلف والتهور، والخوف والجزع، وقبول الذل والمهانة، والخشونة والغلظة في معاملة المؤمنين.

إن المتأمل في واقع المجتمع في العصر الحالي ليلمس وبكل سهولة مدى التدهور الأخلاقي وانعدام العديد من القيم التي كانت تميز ذلك المجتمع ، حيث نرى انتشار الكذب بصورة كبيرة وانتشار الرزيلة، بل لقد أصبح الحياء عملة نادرة، وانتشر التهور بين جموع الشباب، وغاب التوقير والاحترام داخل الأسرة، وتقطعت الأرحام، وقل الإخلاص..الخ من المظاهر التى تعبر عن التدهور الأخلاقي.
ولعل الحديث عن مظاهر التلوث البيئي والتي منها على سبيل المثال (تلوث الماء . تلوث الهواء . التلوث الإشعاعي . التلوث الضوضائي) يرجع السبب المباشر في

حدوثها إلى الإنسان، ولو أحسن تربيته تربية أخلاقية بمفهومها الشامل لما أقدم على فعل ذلك.

ولهذا وجب علينا أن نركز على دراسة السبب الأساسي وراء تلوث البيئة قبل أن ندرس مظاهر التلوث، والسبب المباشر في رأينا يتمثل في عدم وجود تربية أخلاقية، وبالتالي وجود تلوث خلقي.

وسوف نعرض لمفهوم الأخلاق، ثم نتناول أهداف الإعداد الخلقي للشباب، ثم نعرض أخيرا لسبل التغلب على التلوث الخلقي.

وعلم الأخلاق نظري وعملي، والنظري هو المسمى بـ "فلسفة الأخلاق " أو "علم الأخلاق النظري "، وهو من علم الأخلاق العملي بمنزلة أصول الفقه من الفقه، فهو شأن الخواصّ والمجتهدين، ولا يطلب من غيرهم إلاّ كما تطلب النافلة بعد تمام الفريضة. ولذلك لا نجد له من الأقدمية، ولا من الشمول ما لعلم الأخلاق العملي" والفرق بينهما أيضاً "أن علم الخلاق العملي نفسه هو أيضاً من قبيل النظر لا العمل، وإن كان العمل مادته كما هو مادة العلم النظري، مع هذا الفارق الوحيد بينهما: وهو

أن العمل الذي هو موضوع العلم العملي أنواع من الأفعال لها مثال في الخارج، كالصدق والعدل ونحوهما؛ بينما موضوع العلم النظري هو جنس العمل المطلق، وفكرته المجردة، التي لا يتحقق مسمّاها خارجاً إلاّ ضمن الأنواع التي يبحث عنها العلم العملي، تلك الأنواع التي تعد من قبيل الوسائل لتحقيق الخير المطلق، أو الفضيلة الكلية التي يبحث عنها العلم النظري. وهكذا يمكن اعتبار القسم العملي "فناً " أي: علماً تطبيقياً بالنسبة للقسم النظري، ويمكن اعتباره في الوقت نفسه "علماً نظرياً" بالقياس إلى ضروب التخلّف، وأساليب السلوك؛ التي هي التطبيق الفعلي الحقيقي لقواعد ذلك العلم "فالأخلاق في جانبها العملي أمر مكتسب يخضع للممارسة والتعود حتى يتطابق مع النظريّ المجرد.

وإذا كانت التربية تتناول قوى الإنسان وملكاته فإنّ عمل الأخلاق هو توجيه هذه الملكات والأعمال نحو الاستقامة، وجعلها عادات سلوكيّة راسخة، لذلك كله فإنّ إعداد الشباب إعدادًا خُلُقياً يحتاج إلى أن نحدّد أولاً الأهداف التي نسعى إليها ثم الوسائل الموصلة إلى الأهداف.

أ – أهداف الإعداد الخلقي للشباب:

1. تغيير اتجاهات الشباب النفسيّة والفكريّة المتعارضة مع السلوك الاجتماعي المرغوب فيه إلى التغيير المرغوب فيه، والمتناسب مع عقيدة المجتمع، وقيمه،ومظاهر سلوكه الخلقي؛ وهذا يقتضي إزالة التناقض بين الأنظمة والقوانين المسيّرة للحياة من ناحية، ورغبات المجتمع وتطلعاته وآماله المستمدة من عقيدته أخلاقه من ناحية أخرى حيث تعاني مجتمعاتنا من تباين القوى والعوامل المؤثرة فيه، والموجّهة لسلوك الشباب؛ حيث تتعدد الاتجاهات السلوكية وتتعارض كثيراً.

2. ربط التقدم الاقتصادي، والتكيّف الاجتماعي بالأخلاق، فالتقدّم الاقتصادي لا يعتمد على ما تملك الأمة من إمكانات مادية، وقوى~ بشرية متعلمة مدربة فحسب، بل على ما يتحلّى به الأفراد العاملون المنتجون من سلوك أخلاقي يحكم علاقات الإنتاج، ويحقق التعاون، ويعمق الإحساس بالمسؤولية، ويصون الحقوق العامة والخاصة، ثم ما يساعد الأفراد على زيادة التكيّف الاجتماعي والتوافق النفسي في المجتمع.

3. تحقيق التوازن بين القيم الأخلاقيّة النظريّة والقيم الممارسة في المجتمع، والأخذ من العادات والتقاليد بما يتمشى مع قيم الإسلام الثابتة؛ التي يتطور الناس ليرتقوا إليها وليمارسوها في صور أفضل من ممارستها في أجواء الجهل والتخلف. وهذا التوازن هو الذي يحقق ما يسمى بالتكيّف مع المتغيرات، ويساعد على إعادة النظر في العادات والتقاليد الاجتماعية لتتطابق كلها مع قيم الحياة التي يتطور الناس حولها، ويغيّرون من أساليبهم وطرقهم لملاءمتها.

ب – وسائل التغلب على التلوث الخلقي:

– البيئة الاجتماعية: حيث تبنى العلاقات بين الأفراد على أساس من السلوك الحسن والاحترام المتبادل، والتعود على الفضائل سلوكاً وتعبّداً، مثل: الإخلاص والأمانة، والمحبة والجد، والنظام والتعاون، والإخاء، والمودة والاحترام، والاعتماد على النفس، والرحمة، والشفقة وغير ذلك لتكون البيئة عاملاً موجهاً لسلوك الأفراد، وميولهم، وغرائزهم، وكل ذلك في نطاق التعاون بين بيئات التربية الثلاث: المدرسة – المسجد – المجتمع.

– فالأسرة هي التي تغذي الصغار بالصفات الخلقية ا لحسنة عن طريق الممارسة اليوميّة، والسلوك الخلقي الحسن للوالدين،وترجمتهما لمعاني المسؤولية والصدق والأمانة؛ ليعرف الطفل الأخلاق سلوكاً طبيعياً عملياً قبل أن يعرفه في معانيه المجردة. أما المسجد فهو مكان ا لإشعاع الروحي والثقافي الذي يصوغ سلوك الناس فيه بما يناسبه من نقاء وطهر، وعفاف وتجرد، وانضباط والتزام.

– المنهج الدراسي: وللمنهج وسائله المباشرة وغير المباشرة في تربية الأخلاق، فالدروس الخاصة بالتربية الخلقيّة والتي تهدف إلى تعلم الفضائل، وتحض على العادات الطيبة والسلوك الحسن وسائل مباشرة، أما تهيئة الجو المدرسي الذي يتبادل فيه الطلاب التجارب الحسنة، والخبرات الطيبة، ويتدربون فيها عملياً على ممارسة سلوك الفضيلة والخير والحق في بيئة اجتماعية صالحة موجهة فهذه هي الوسائل غير المباشرة أو العمليّة التي تعد أكثر نفعاً وأعظم جدوى من تعليم الأخلاق نظرياً لأنّ علم الأخلاق ودراسته شيء، وممارسته في السلوك اليومي شيء آخر.

– الاتجاه العلمي في إبراز محاسن الأخلاق الفاضلة، ومضارّ السلوك السيئ في حياة الأفراد والأمم،وذلك بالاستفادة من نتائج البحوث العلمية في مجالات علم

النفس والاجتماع والفلسفة والطب، والتي أثبتت آثار السلوك الحسن والسلوك السيئ بما لا يدع مجالاً للمغالطة أو الإنكار؛ وقد اعتادت الأمم أن تنشر إحصاءات مفصّلة عن الجريمة ودواعيها، والمسكرات والمخدرات، وأنواع الانحراف والشذوذ المختلفة، ونتائج ذلك كله على أوجه الحياة المختلفة، اجتماعياً، واقتصادياً، وبشرياً.

– الرفقة الحسنة: إذ أن الفرد يتأثّر بمن حوله كما يتأثر بما حوله من بيئة يعيش فيها، وأسرة ينشأ فيها، ولذلك شبّه الرسول صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح ببائع المسك، والجليس السوء بنافخ الكير، فكلاهما مؤثر في صاحبه، والإنسان بطبعه مقلِّد لأصدقائه في سلوكهم ومظهرهم، وملبسهم فمعاشرة الأبرار والشجعان تكسب الفرد طباعهم وسلوكهم، بينما تكسب معاشرةُ المنحرفين الفرد انحرافهم أو تقبّل انحرافِهم.

– دراسة سير الأنبياء والرسل والأبطال والنابغين في ميادين العلم والمعرفة، والقتال والحرب، وعلى رأس ذلك دراسة سيرة سيد الخَلْق صلوات الله وسلامه عليه؛ باعتباره القدوة الأولى للبشرية، لأن دراسة هذه الشخصيات هي التي تبعث الروح الخيّرة في الناشئة، وتجسّد فيهم معاني التضحية والفداء في سبيل المثل العليا، والمبادئ السامية.

– كما أنّ دراسة هذه النماذج تساعد المنظمات الموجهة للشباب في تطبيق السلوك الأخلاقي والاجتماعي بما يؤكد القيم الأخلاقية المرغوبة، وبما يحقق التوازن بين عطاء الأسرة والمدرسة والمجتمع؛ في النواحي السلوكية والأخلاقية.

– توحيد جهود الوسائل التربوية المتمثلة في البيت، والمدرسة، والراديو، والمسرح، والتليفزيون، والكتاب، ومنظمات الشباب، فإذا كانت المدرسة أو كان البيت قائماً بالتربية الخُلقية، والمؤسسات الأخرى تقوم بما يعكسها فلا قيمة لجهد البيت أو المدرسة.

– إن المدرسة هي أخطر مؤسسات التربية أثراً في حياة الناشئة؛ لما يمكث الطالب في التعليم من سنوات اليفاعة والشباب غير أن دور المؤسسات الأخرى لا يقبل عنها؛ حيث أصبحت كلها مراكز نفوذ وتسلط، واختراق للحواجز والبيوت، المر الذي يؤكد حتمية توحيد هذه الجهود منهجاً وتخطيطاً في سبيل تربية شباب الأمة على الخُلُق الجميل، والسلوك الحسن المرغوب فيه). انتهى المقال